ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية ، جامعة ، فصلية

المجلد ٥٥، العدد ٢

٢٠٠٤

مدير التحرير الفخري

د. رضوان الرحمن



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

نيو دلهي

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية " ثقافة الهند" و في الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الأسبانية "Papeles de la India" و في الهندية "Gaganaanchal" و كلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

و حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن، و الآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين و الكتاب و لا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها و طبعها السيد راكيش كومار المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية - آزاد بهون، نيودلهي، الهند.

طبعت في مطبعة شيرا ، دلهي- ١١٠٠٩٢

ثقافة الهند

المجلد ٥٥ ، العدد ٣، ٢٠٠٤ م

في هذا العدد

كلمة الناشر

إن علاقات الهند مع العالم العربي عريقة في القدم فقد تمتعت الهند، على نحو تقليدي، بالعلاقات الودية الوطيدة مع العالم العربي كما وضع التاريخ والجغرافيا أساسا ثابتا لصلة باقية. وفي العصر الحديث قد أصبحت هذه الصلات متعددة الأبعاد حقا بحيث تمّت إضافة أواصر حديثة وأبعاد جديدة إلى هذه العلاقات. قد ناقش السيد ناتوار سينغ وزير الشئون الخارجية التطور القيّم للعلاقات الهندية-العربية في مقالته "الهند والإسلام: اندماج الثقافة المشتركة وتحدي السياسات المعاصرة". إنه كذلك تتبّع دور حركة بهاكتي ومساهمة دارا شكوه في تعزيز الصلات بين الإسلام والأديان الهندية الأخرى. وكذا يتفحص معالي سفير سلطنة عمان لدى الهند خليفة الحارثي علاقات الهند مع العالم العربي عامة ومع سلطنة عمان خاصة منذ عام ألفين وخمس مائة قبل الميلاد.

ومنذ زمن سحيق للغاية قد عرف العالم العربي الهند كأرض للثروة والعلم اللذين جذبا الصوفية والفاتحين كافة من مختلف أنحاء العالم للفوائد الروحية والمادية ولمّا قام الخليفة هارون الرشيد في القرن الثامن المسيحي بتأسيس مركز للبحوث والترجمة يسمّى

"بيت الحكمة" دعا علماء هنودا لترجمة كتب الفلسفة والطب والأدب والنجوم فقد قام ابن المقفع بترجمة أهمّ الكتب العربية الأدبية "كليلة ودمنة" من الكتاب السنسكريتي "بانج تانترا" ولا يزال هذا التقليد العلمي يسير في الهند في الدراسات الإسلامية والعربية. فينتمي عبد الحق المحدث الدهلوي و مولانا أبو الكلام آزاد و شبلي النعماني وسيد سليمان الندوي وحميد الدين الفراهي وعبد العزيز الميمني وحميد الله وآخرون إلى نفس التقليد العلمي.

وستمتعكم المقالات الأخرى لهذا العدد مثل صناعة العمارة الهندية الإسلامية ومنشي بريم تشاند ومساهمته في حركة استقلال الهند.

راكيش كومار

المدير العام

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

كلمة التحرير

هذا العدد يركز بالخصوص على الإسلام و الدراسات الإسلامية و يناقش تطور اللغة العربية وآدابها في الهند و كذلك يتناول العدد موضوعات متنوعة أخرى مثل فن العمارة الهندية ومساهمة كولكاتا في تطوير الثقافة و العلوم.

المقالة لوزير الشؤون الخارجية السيد ناتوار سينغ على موضوع "الهند و الإسلام: اندماج الثقافة المشتركة و تحدي السياسات المعاصرة" تناقش أهمية العلمانية و التسامح و التوافق لبناء دولة مستقرة و حضارة ثابتة في الهند. و تذكر أن كل الديانات و العقائد تدرّس المداهنة في كافة المجالات. وبعد أن دخل الإسلام الهند و توافد إليها الصوفيون ظهر فيها تيار صوفي محلي و يُسمّى بـ"حركة بكتي". و هذه الحركة تشمل عناصر التسامح و المداهنة من مختلف الأديان مثل الإسلام و الهندوسية و البوذية و غيرها من العقائد. و من روّادها سانت كبير وغرو ناناك وغيرهما من الصوفيين. و كذلك يتناول السيد ناتوار سينغ موضوع "دين إلهي" (دين الله) الذي بدأه الإمبراطور أكبر لأجل توحيد كافة الأديان

والعقائد الهندية و لو أنه لم يترعرع و تبخر بانتقاله إلى جوار ربه. و ينشد من خلال مقالته مجهودات "الأمير دارا شكوه" لتوحيد أتباع مختلف الديانات في الهند و كذلك يذكر تطور العلاقات بين الهند و العرب و أخيرا يناقش عناصر حب الوطن في شعر العلامة إقبال. و مقالة السفير العماني خليفة ابن علي الحارثي أيضا يتطرق إلى موضوع العلاقات بين الهند و العرب بالخصوص بين الهند وسلطنة عمان. و يدّعي فيها أن العلاقات الهندية و العمانية ترجع إلى عام ألفين و خمس مائة قبل الميلاد و ترعرعت بكثير بعد ظهور الإسلام و بداية الاحتكاكات بين الأمتين بالهجرة من الطرفين. و في العصر الراهن قد تعززت الصلات لأسباب مختلفة مثل التجارة والتبادل في مجال التعليم و التقنية و غيرهما.

و السيد عرفات ظفر و الدكتور فوزان أحمد يلقيان الأضواء على حياة حميد الدين الفراهي و عبد العزيز الميمني و آثارهما. الأستاذ حميد الدين الفراهي قد برز في الشعر العربي و الدراسات القرآنية في القرن العشرين و خلف آثارا قيمة اعترف بها العرب والعجم. كذلك ظهر العلامة عبد العزيز الميمني على أفق الأدب العربي و تحقيق النصوص العربية في نفس الحقبة من الزمن. و قد اعترف أحمد أمين و طه حسين بأعماله العلمية حتى اعتبره أحمد أمين بأستاذه في مجال البحث و التحقيق.

الدكتور حميد الله كان من أبرز العلماء الهنود الذين أثبتوا صلاحيتهم في مجال الدراسات الإسلامية و ترجمة القرآن الكريم. و اعترف ببراعتهم العلماء الأوربيون أيضا. و مقالة الدكتور نعمان خان يبرز هذا الجانب للدكتور حميد الله الذي عاش معظم سنواته في فرنسا مشتغلا بالبحث و التحقيق و التدريس حتى لقي ربه بعد داء طويل و مؤلم في أمريكا. و من أعماله القيمة موسوعة تراجم القرآن الكريم و تحقيق مجموعة الحديث و غيرهما.

مدينة كولكاتا لها تاريخ سحيق و مكان بارز في إحياء اللغات الهندية و إثراء للثقافات الشرقية. يناقش الدكتور محمد أحمد خان القاسمي دور هذه المدينة في حماية الثقافات و اللغات و ترويجها. و يذكر أن كلية فورت وليم التي أسست في كولكاتا لمختلف الأغراض أصبحت من أسباب إحياء اللغات الهندية و من أبرزها الأردوية و الهندية و على رأسها جون غلكرائست. و أيضا يسجل أسماء العلماء و الكتاب و الشعراء الذين أخذوا كولكاتا موطنا لهم و أبرزهم الكاتب الشهير رابندر ناث طاغور و شرت تشند شترجي.

و الأستاذ جمال الدين يكتب على صناعة العمارة الهندية-الإسلامية التي تطورت من اندماج الثقافتين – الهندوسية والإسلامية. و يسجل كل الآثار التاريخية الرئيسية التي تدل على

كلمة التحرير

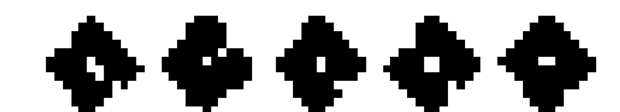
هذا الفن من مختلف العصور التاريخية. منارة قطب تنتمي إلى العصر البدائي للحكم الإسلامي في دلهي بينما ينتمي مسجد موتي (مسجد اللؤلؤ) إلى العصر النهائي للحكومة الإسلامية.

إن لمنطقة أعظم كراه فضلا كبيرا في ترويج اللغة العربية و الدراسات الإسلامية في عصور شتى. فمقالة أورنك زيب الأعظمي تشمل هذه المعلومات على مساهمة أعظم كراه في هذه المجالات العلمية. و لدى ذكر الشخصيات البارزة يذكر هو أسماء محمد فاروق الشرياكوتي و حميد الدين الفراهي و حبيب الرحمن الأعظمي الذين ورد ذكرهم آنفا و نجم الدين الإصلاحي و غيرهم ممّن ساهموا في تطوير العلوم الإسلامية و العربية. و يذكر بالخصوص مجهودات العلامة شبلي النعماني مؤسّس دار المصنفين و مصنف سيرة النبي و سيرة الفاروق و شعر العجم و غيرها.

نأمل في أن محتويات أخرى لهذا العدد ستعجبكم ونرجو تقديم آرائكم البناءة عنها لتحسين مستوى مجلتكم المحبوبة.

وشكرا

د. رضوان الرحمن*



---

* أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية و الأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

الهند والإسلام:
اندماج ثقافة مشتركة وتحدي السياسة المعاصرة

- ك. نتوار سينغ*
ترجمة : صهيب عالم**

مما يسعدني أن ألقي عليكم المحاضرة الثانية عشرة بمناسبة ذكرى لال باهادور شاستري (Lal Bahadur Shastri) الذي احتفلنا بالذكرى المائة لعيد ميلاده قبل ثلاثة أشهر. وإنه من أعظم الأبناء التي أنجبها الوطن. قال عنه الراحل البانديت جواهر لال نهرو في البرلمان الهندي "لن يتمنى أحد رفيقا وزميلا أفضل من لال باهادور. فهو رجل مطبوع على الأمانة والاستقامة والوفاء ومقتدي بالمثل العليا، ومتميز بالضمير الحي". ونحن اليوم نحيي هذا النجيب الهندي البارز الذي أسر بتواضعه وبساطته قلوب الملايين من أبناء

---

* وزير الشؤون الخارجية، حكومة الهند. (هذه المقالة ترجمة المحاضرة الثانية عشرة ألقاها بذكرى لال باهادور شاستري رئيس الوزراء الهندي الثاني)

** باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي

الأمة. وكان رجلا لا يعرف التعصب تجاه الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة والفلاحين فإنه رفع شعاراً يرجع إلينا صداه حتى اليوم وهو "عاش الشباب ... عاش المزارع".

وبما أن محاضرة ذكرى شاستري ثبتت أهم منتديات للتعبير عن الأفكار والآراء فقد اخترت لمحاضرتي عنوان "الهند والإسلام" الذي سأتحدث فيه عن "اندماج ثقافة مشتركة وتحدي السياسة المعاصرة".

أنا اعتقد، وقد أشرت إليه في داخل البرلمان بأن من أكبر التحديات التي يواجهها العالم اليوم هو كيف نتعامل مع العالم المسلم "، وأنا لم استعمل كلمة "إسلامي" متعمداً، وهذا لأن هناك (١,٣) بليون مسلم في العالم، بمن فيهم (٤٥٠) مليون مسلم في شبه القارة الهندية لوحدها. وهذا من الواقع أن النص المسلمة من دولة موريتانيا (Mauritania) إلى ميدان (Medan)، قد جُرِحت فهي في حاجة إلى أن تلقى الاندمال. ولنا في الهند تاريخ مجيد للتعايش مع الإسلام يمتد على ألف سنة بل أكثر. وهذا مما نمتاز به أننا لا نجد أحداً من بين أكثر من (١٥٠) مليون مسلم في الهند انضم إلى حركة الطالبان أو القاعدة. وهذا هو السبب وراء اختيارنا المتميز للمساعدة في هذه العملية. ولذلك يهمنا أن نلقي الأضواء على تأثير الإسلام في الهند وتأثره بها.

ومنذ أكثر من ألفي سنة، ضمن الموقع الجغرافي للهند احتكاكاً حيوياً مستمراً مع الأمم المختلفة من وراء جبالنا ومحيطاتنا، وهذا يشمل التجارة المزدهرة والتفاعل الثقافي بين الهند وشبه الجزيرة العربية. يشهد التاريخ القديم أن حكام الراشتراكوتا (Rashtrakuta) وظفوا العرب بأسماء "الطاجكستانيين" (Tajikas). وأن هذا استمر عبر العصور مسفراً إلى الألفة المطمئنة عن طريق اللقاءات والتفاعلات بين الهند وآسيا الغربية والوسطى.

ولما جاء الإسلام حدث تحول واضح في التفاعلات التقليدية تجلى في شكل الغزو العربي للسند (Sind)، كما حدث مثله بعد مرور ٣٠٠ سنة في شكل غزو الأتراك من غزنة (Ghazni) وغور (Ghor)، إلا أن غزوهم العسكري لم يغير طبيعة التبادل التقليدية بين التجار والمفكرين والمهنيين. و يمكننا القول بالتأكيد إن التفاعل غير العسكري تلقى دفعة تشجيع من جراء الرعاية التي انتقلت عبر العقود من الحكام المسلمين إلى الحكام والملوك غير المسلمين في مختلف أنحاء الهند.

وبما أن العصر الحديث قد تعود استخدام مصطلحات الوحدات المتراصة لوصف الشعوب المختلفة في شبه القارة الهندية "الهندوس" أو "المسلمين"، فالسجلات التاريخية تثبت أن هذه الأمم لم تكن ولم تشعر بأنها ذات وحدات متراصة.

ولم يكن المسلمون في الهند طائفة ذات وحدات متراصة وإنهم انقسموا على أساس الطبقات والفصائل ، وعلاوة على ذلك

فإن فرقهم المختلفة تفاعلت مع الطبقات الأخرى في المجتمع الهندي متجاوزة حدود النظام الطبقي والديني خاصة لازدهار التصوف رابطا مختلف الطوائف بقوة المحبة والحنان والتفاهم ومثل هذه الرسالة انتشرت من أجمير (Ajmer) ومن مقبرة نظام الدين أولياء.

رفض الامبراطور المغولي العظيم أكبر التصلب الديني وأتى بدينه الإلهي الجديد باسم "الدين الإلهي" الذي قدم عقيدة التآلف بين الناس، التي كانت مزيجة من الإسلام والهندوسية والمسيحية والبوذية والزرادشتية وغيرها من المعتقدات والتقاليد الأخرى.

إن الفترة التي امتدت من القرن السادس عشر وحتى يومنا هذا شهدت ازدهار الثقافة الهندية المشتركة الذي جمع مختلف الشعوب على رصيف نظام سياسي مشترك. ولم تكن هذه عملية صعبة ومزعجة لأن الشعوب الهندية المتحررة جمعت مختلف الشعوب والمعتقدات على رصيف واحد قبل مجيء الإسلام بقرون. ولم يتطلب مجيء المسلمين إلى شبه القارة الهندية إلا توسيع الأوضاع وفهم واستيعاب القيم والتقاليد التي جاءت معهم لأنهم لم يكونوا غرباء حيث أن الهنود تعاملوا معهم منذ عدة قرون.

حتى أن أهالي آسيا الوسطى (الأتراك ثم المغول) جعلوا الهند موطنا لهم. وبلغ هذا الاحتكاك شبه القارة الهندية وأثر في كافة أنحائها فلم يكن أي مظهر من مظاهر الحياة الهندية إلا وقد تأثر به، كما أن حياة المسلمين قد تأثرت بتقاليد الهند. وهذا لأن نسيج ثقافتنا

القومية محاك بإتقان محكم يصعب به تحديد أصل أي سلالة أو إعطاء أي طائفة أهمية أفضل على غيرها.

وإن الدين الإسلامي وزعماءه من آسيا الوسطى جلبوا رسالة جديدة للمساواة والأخوة واستأصلوا الطقوس الثقافية الجامدة وعدم المساواة وفقدان القيادة الخلاقة وبعد نهاية المعارك الحربية بدأت التعاملات والمناقشات فيما بين رجال الإدارة والباحثين والمعماريين والحرفيين والآراء والتجارب التي تم توريدها جعلت تؤثر على تخطيط المدن ومعالم البناء وبناء الطرق ومصارف المياه والإدارة وجمع العوائد والضرائب والزراعة والصناعات الحرفية وفنون الحرب. وكان لكل هذه الأفكار والتجارب الموردة ردّ فعل محلي مماثل، وإن بقايا آثار موهان جودارو (Mohan Jodaro) تدل على هذه الدعوى.

ولقد أعطت التجربة الطويلة لمئات الألوف من التفاعلات الشخصية اليومية شكلا ووصفا جديدا لأفكارنا ومعتقداتنا كما عززت كل مظهر من مظاهر حياتنا. ولمواجهة تحدي علماء المسلمين استعاد علماء الهندوس فلسفتهم وعلومهم التقليدية وفي نفس الوقت حللوا ما كان عندهم من الأخطاء التي كانت في حاجة إلى التصليح والتجديد. وفي جانب آخر تأثرت المعتقدات الإسلامية التقليدية والانتقائية بالنظريات والفلسفات الهندوسية.

ولو أن تلك المناظرات المثيرة كانت تجري بين الفلاسفة والعلماء، ولكنه حدث تفاعل أكثر عمقا بين عامة الشعب حيث لاحظ المسلمون والهندوس على المستوى الشعبي بأن هناك الكثير من المصالح المشتركة بينهم سواء كانت بين المزارعين والعمال الذين لا يمتلكون الأراضي الزراعية والذين يجاهدون من أجل الحياة وسط تقلبات أهواء ونزوات الإقطاعيين (feudals) الذين لم يضعوا أي فارق ديني في إعطاء الهدايا أو توجيه الغيظ. إنهم كانوا عرضة لجامعي الضرائب الحريصين ، كما اعتبروهم جنودا مشاة وقذائف للمدافع في حروب خاضها الملوك ولم تجلب لهم إلا قليلا . إنهم في الغالب كانوا ضحايا الجفاف والفيضانات، وعادة غرقت حياتهم في مستنقع الحاجة والفقر المدقع. وإن هذه المخاوف والمآزق المشتركة تجاوزت حاجز المعتقد الديني وطوّرت تشابه الحياة اليومية القائمة على مبدأ التعاون الواسع الشامل في ابتهاجات الأعراس والأعياد وأحزان الخسران والفقدان.

ومن هذه التجارب المشتركة انبثقت اثنتان من الحركات الأكثر تأثرا والأوسع انتشارا في بلادنا، والتي لا تزال أصداؤها تتردد حتى الآن، وهما حركة بهاكتي (Bhakti Movement) والحركة الصوفية (Sufism) وهاتان الحركتان قامتا برفض الشعائر الجوفاء والتقاليد القديمة والنظام الديني الجائر الذي كلف أتباعه الاحتياجات المادية في حين وفرت راحة وسلوانا روحيتين. ونتيجة لذلك

انتشرت فكرة الإله الشخصي (Personal God) الذي يسهل التقرب منه مباشرة بطريقة يسيرة من عباده، فأضحى الدين غير مقصور على العلماء القضاة والبعيدين عن الناس بل تجربة يومية مؤقتة سارة حارة مبنية على الاشتغال الشخصي بالإله الذي فهم وأحب وغفر له.

وتعايش الصوفية والبهاكتيون الهنود ونشروا الدين جنبا إلى جنب منذ عدة قرون، وفي بعض الأحيان اختلفت طرقهم إلا أنهم في معظم الأحيان ذهبوا نفس المذهب الذي أنتج التفاهم، وهذا ما قاله الكاتب الشهير عزيز أحمد:[١] منذ منتصف القرن السابع عشر ظهرت السلسلة القادرية أكثر تسامحا تحت أثر الأمير دارا شيكوه والأميرة جهان آراء. وفي القرن الثامن عشر أصبحت السلسلة الصوفية النقشبندية (Naqshbandi) متحررة لدرجة أن أحدهم اعتبر فيدا (Vedas) كتابا سماويا والهندوس موحدين ولهم كتب سماوية ورسل مبعوثة كبقية أهل الكتاب. وعلى الرغم من أن الشاه ولي الله الدهلوي دعم نهضة التصلب الديني في الهند في منتصف القرن الثامن عشر، اعتبر ابنه الشاه عبد العزيز، نتيجة لتأثره بالكتاب الهندوسي المقدس باغواد غيتا (Bhagwad Gita)، كريشنا (Lord Krishna) وليا من أولياء الله.

أزكى البهاكتي والمتصوف العوائق بين المجموعات الدينية ومجدوا الإله الذي لا يعرف أي شيء من هذا النوع. واليوم، لا

نتذكر أسماء العلماء والنساك الذين استطاعوا أن يجلبوا مثل هذا اليسر والشفاء لمتبعيهم عبر القرون وذلك بسبب مواقفهم ومتطلباتهم العنيدة. فلا نتذكر إلا الخواجه معين الدين الجشتي والخواجه نظام الدين أولياء وميرا باي (Meera Bai) وكبير وغورو ناناك(Ghuru Nanak) وكرشنا تشيتانيا(Krishna Chaitanya) وسنت دياناشور(Sant Dayaneshwar) ونامديو (Namdeo) وتوكارام (Tukaram). إن أشعارهم الصادقة نشرت تعاليم المحبة والأخوة وحب الخالق الذاتي. ولعل كبير هو الذي استطاع أن يقدم هذه الرسالة بكل قوة من خلال الفصاحة البسيطة وذلك عندما أنشد:

موكي كهـــان دوندي بندي

مين تو تيـــري باس مين!

نا مين ديول نا مين مسجد،

نه كعبـــه كيلاش مين!

نه تو كوني كريا كـــرم مين

نهين يـــوك بيـــراغ مين!

خوجي هوي تو تورتـــي ميليهو

بل بــــر كي تـــلاش مين

"يا أيها العبد، أينما تطلبني، تجدني بجانبك، فإني لست في المعبد ولا في المسجد فلست في الكعبة ولا في كيلاش فلست في

المناسك ولا في المراسم فلست في اليوجا ولا في التزهد وإن تبحث على حقا، فسترانى وستقابلنى حتما".

وراء صراع ساحة الاعتقادات الدينية، تتجلى ثقافتنا التوفيقية بين المعتقدات من خلال الفنون ومظاهر البناء والموسيقى والملابس والأغنية، يوضحه محمد مجيب قائلا:

"أصبحت الديانة ديانة الشعب، ثم أصبحت لغات التحدث لغات أدبية، ولدينا الأدب البدائية الهندية والبنغالية والغجراتية والبنجابية والسندية. ثم أصبحت المدينة مركزا للثقافة وجاءت الملابس المخيطة تحت استخدام يومي. ويتم التخلي عن البساطة لأجل حياة أثراها وعقدها تزايدا واسع في مواد الاستخدام اليومية فأصبحت الأخلاق واسعة في شكل آداب المعاشرة المعروفة. ولا يمكن اعتبار هذه التغييرات سوى الأول بأنها جاءت من أثر الدين الإسلامي، وما كان لهذه التغييرات أن تحدث إذا لم يصبح الإسلام من أحد الديانات المقبولة في الهند"[٣].

تم تصوير الجمال والبهاء الذي استمتع به الهندوس والمسلمون على السواء بواسطة اللغة الأردوية، وطبقا لما ذكره محمد مجيب فإن هذه اللغة قد أصبحت رمزا للثقافة المشتركة التي ظهرت في ظل التشوش السياسي السائد خلال القرن الثامن عشر و القرن التاسع عشر[٤].

وكانت هذه الفترة مفعمة بالكتاب الموهوبين البارزين إلا أن الميرزا غالب الذي تميز بقوة شخصيته واستطاع بفضل جهوده أن يعرض ثقافتنا المشتركة بطريقة حسنة. فإن شعره - كما ذكر مجيب - قد أصبح جزءا من حديثنا اليومي، ولذلك فهو يستحق أن يلقب - "شاعر الشعب"[5]. وليس هنالك أي جانب من الحياة الإنسانية لم يفكر فيه ويعلق عليه سواء كان عن تعامل الإنسان مع خالقه أو قضايا الحب أو سرور الخمر أو التفكير العلمي أو الكرب والكآبة اللذين يصيبان النوع الإنساني.

رفض غالب الشعائر التي تتبعها معظم الشعوب المتدينة:

هم موحد هين همارا كيش هي ترك رسوم

ملتين جب مت كئين أجزاء إيمان هوكئين

" إننا نؤمن بتوحيد الإله ، وشعارنا القضاء على التقاليد، فإذا انمحت الملل أصبحت جزءا لا يتجزأ من الإيمان ".

وكذا برز أديب آخر وهو محمد إقبال الذي كان شاعرا وفيلسوفا في آن واحد، وكان صاحب شخصية جامعة ولا يمكن تقديره بلقب ساذج. ولو أنه سعى إلى أن يعرفه كمؤيد للإسلام لذا اشتهر بين الأوساط المثقفة في العالم الإسلامي، وطبقا لما أوضح مجيب عن دعوته للوحدة بين الهنود، فإنه كان صاحب روح عميقة وغير آخذ من أي مشاعر سياسية"[6] كما أن نشيده الشهير أي النشيد الوطني الهندي، ما زال يطرب آذاننا كل يوم إلا أن قصيدته (النيا شيوالا) أي المعبد الجديد قد أظهرت وجهة نظره بكل صراحة:

سچ كه دون اي برهمن! كر تو برا نا ماني
تنك آكي مين ني آخر دير وحرم كو تشورا
واعظ كا وعظ تشورا، تشوري تيري افساني
بتهر كي مورتون مين سمجها هي تو خدا هي
خاك وطن كا مجهه كو هر ذره ديوتا هي
آ غيريت كي بردي اك بار بهر اٹها دين
بتشرون كو بهر ملادين، نقش دوي متا دين

"أيها البرهمن: أصدق، إذا لم تنزعج مني فإنني أود أن أقول إنني تركت جميع أنواع المعابد منزعجا، لقد تجنبت مواعظ الواعظين كما هجرت حكاياتك، إنك تظن أن الإله موجود في أصنام الأحجار وأنا أتصور كل ذرات الوطن بمثابة إله، لذا، ينبغي علينا أن نقوم بإزالة جميع أسباب التنافر ونقوم بالتوفيق والإصلاح بين المتخاصمين ونعمل على إزالة جميع علامات الخلافات والانقسام".

التحديات للثقافة المشتركة: السياسة الطائفية والتقسيم

إن الثقافة الهندية المشتركة الموطدة عبر القرون ، قد واجهت تحديات بين المخلوف التي تمثل تخفيف للتوفيق بين المعتقدات والقيم الهامة الأخرى، والتي - كما يراه البعض - ستسود

روح الشعب الوطني حيث شهد القرن التاسع عشر حوادث مربكة وبسبب ورود الحكم البريطاني في الهند انقلب النظام السياسي التقليدي على عقب. فتم نبذ الاعتقادات التقليدية وانتشرت الثقافة الهندية المشتركة، فظهرت الأخطاء الفادحة التي ساعدت الحكم الاستعماري البريطاني في السيطرة على البلاد.

إن هذه الفترة الغير ثابتة قد أثارت الردود المختلفة من قبل الإدارات المختلفة في الحكومة الهندية، وذلك بعد عام ١٨٥٧م بشكل خاص حيث تم استهداف المسلمين لمشاركتهم في الثورة ضد البريطانيين، كما أن بعض الطبقة الممتازة من الهندوس استغلت فوائد اتباع التعليم الغربي وتبني الأساليب الثقافية الغربية. وقد أصبح البريطانيون قلقين بسبب السياسة الجديدة التي بدأت تظهر في مختلف أرجاء البلاد و في نهاية القرن التاسع عشر حيث تم تأسيس حزب المؤتمر القومي الهندي عام ١٨٨٥م، فبدءوا يظهرون بعض المخاوف للمسلمين لأنهم يمثلون الأقلية في البلاد وأظهروا لهم أوجه ضياع سلطتهم السياسية وتعرض دينهم وثقافتهم للخطر من قبل الأغلبية الهندوسية. وبالجملة فقد انقسمت البلاد عن وعي على أساس الديانة فبدأت كل من الطائفتين تخشى على الأخرى. ولو أن القسمة الطائفية قد شجعها الإمبراطورية البريطانية برز المتشددون، أفرادا وجماعات، خالفوا الأخرى وخوفوهم وفي معظم الأحيان مالوا إلى البريطانيين للمساعدة رغم كافة مجهودات

البريطانيين لم يترك معظم الهنود الثقافة المشتركة، ورفضوا الحكم البريطاني بشدة.

إننا لم نقدر على أن نمنع تقسيم الهند على أساس الطائفية. ومن جهة أخرى، فإن الخلاف والجدل ما زال مستمرا في شبه القارة الهندية عمن يمكن اعتباره المسؤول عن نتائج تقسيم البلاد على أساس الطائفية. وما هي أسباب الحروب المستمرة بين الهند وباكستان، علما بأن الأخيرة لا تزال تحاول تنمية الهوية الوطنية ووضع القيم السياسية والهيكل السياسي الذي قد يتطابق مع طموحات الشعب.

وأنتهز هذه الفرصة لأعرب عن ثنائي وتقديري الجزيل لمؤسسي البلاد الذين التزموا التزاما شديدا بثقافتنا المشتركة وحضارتنا الشاملة التي ظهرت من خلال الدستور الهندي العلماني، رغم الآلام والغضب والعنف السائد في بداية القرن العشرين المتمثل في السياسة المرتكزة على الطائفية.

فالهند ليست دولة علمانية بالمعنى الغربي المبني على الانفصال الكامل بين الكنيسة والدولة. وإنها تعترف بأهمية المعتقدات الدينية بين الهنود. ولكنها ترفض إعطاء السيادة لأية ديانة. فقد كان الفيلسوف الشيوعي إم. إن. روي (M.N. Roy)، يرغب في جعل حرية الدولة عن الديانة أمرا مطلقا. وكان يرغب بأن

تحمل الدولة مواطنيها عدم السماح بحرية اختيار الديانة من بين المبادئ الدينية المتعددة، بل حرية الروح البشرية من طغيان هذه كلها[٢]. وبعكس ذلك فإن المهاتما غاندي كان يعتبر جميع الديانات صحيحة حيث قال "إن احترامي وتقديري للديانات الأخرى مثلما أوجه إلى الديانة التي أنتمي إليها"[٣].

إن رئيس بلادنا السابق الفيلسوف الدكتور رادها كرشنان (Dr. Radhakrishnan)، قد تخلص عما أدلى به إم. إن. روي قائلا "إنني أؤمن بأن العلمانية لا تعني نبذ الدين كليا، بل تعني احترام جميع الاعتقادات والديانات علما بأن بلادنا لا تخضع لأي دين خاص"[٤].

وفوق ذلك، فإن العلمانية الهندية تمثل إيمان واعتقاد جواهر لال نهرو (Jawaharlal Nehru)، الذي كان يبدو متسامحا قليلا للديانات في مظاهر الطائفية، والذي أشار إليها بأنها ديانة منظمة فيقول:

" إن الصورة التي يطلق عليها بالديانة أو أية صورة منظمة للديانة في الهند أو في أي بقعة من بقاع العالم، قد تملأني رعبا، لذا، أقوم بتنديدها وكذا أرغب في أن أقضي عليها تماما. لأنها تعرض التقليد الأعمى والردود الفعلية والمبادئ والتعصب الأعمى والخرافات والاستغلال وحفظ المصالح التالهة"[٥].

وفي نفس الوقت، فإن نهرو كان يدرك دور الاعتقاد الديني في تحسين الطبع الذاتي، حيث كتب في كتابه "Discovery of India" (اكتشاف الهند) ما يلي:

" بينما نتفوق في مجال الطيران الخارجي، الذي يعتبر ضروريا إذا أردنا العيش والبقاء على قيد الحياة. فإنه ينبغي علينا الالتزام بسلامة أنفسنا وإحلال الأمن بينها وبين البيئة المحيطة بنا ، السلام الذي لا يقنع متطلباتنا المادية والبدنية فقط بل مقتضياتنا الباطنية الخيالية والتجارب المفعمة بالحيوية، التي ما زالت تميز الإنسان منذ أن بدأ رحلته المضطربة في عالم الفكر والعمل"[١].

إن مقنني الدستور الهندي الأوائل، قد عرضوا أمامهم الأهداف السامية للدستور من مثل إزالة الفقر والجهل والتخلف وبناء الوطن الموحد والمجتمع المتكامل من الهيكل الاجتماعي ذي العناصر المتعددة والأجزاء والأقسام ونظرا للنزاعات الدينية التي كانت تجرح المشاعر، فقد كانوا يدركون بأن الوطن الهندي الناشئ سيزدهر على أساس أمنيات الوحدة الوطنية بين الشعب الهندي ولا على أساس الوحدة الجغرافية والاقتصادية وتاريخها الطويل المشترك فقط.

وفي ضوء تشجيع التكتل السياسي بين التحديات المعاصرة لديهم فإنهم أدركوا أسس التقليد الهندي وأعلنوا مبادئ التسامح والمساواة والعدل التي تعتبر عنصرا لازما للدستور الهندي اليوم. وإن الوطن الهندي الجديد لا يتخلى عن الدين أو يغض النظر عنه، بل يدرك ويظهر المعنى الجوهري للعقائد الدينية. وعلاوة على ذلك، فإنه يعترف بالتعددية الدينية للشعب الهندي الذي ركز على

تمزيق روح الشعب الهندي. وذلك مثل ما عرضه الدكتور امبيدكار (Dr. Ambedkar) في المجلس التشريعي قائلا: "إذا تم الاعتبار بأن المسلمين كأمة منفصلة، فلا يمكن أن نقول إن الهند دولة واحدة أو وطن واحد"[١٦].

وبعد عصر الاستقلال، بدأت الهند تخرج تدريجيا من مآسي تقسيم البلاد، حيث بذلت جهودا جبارة للانتعاش والنشاط وتقديم قيمة معاصرة للثقافة المشتركة التي تعطي شكلا شرعيا في دستورها. على العموم فإن تاريخ الهند جدير بالثناء بأنها قد شهدت في خارجها حكومات استبدادية وديكتاتورية ولكن الديمقراطية الهندية، قد شهدت في داخل البلاد تماسك النظام الوطني وتغيير الحكومات على أساس رسمي وتوسيع قواعد الرفاهية التي بدأت تصل تدريجيا إلى المستويات الهزيلة للدولة، فهذه هي الحقيقة الرئيسية لدولتنا التي مر على استقلالها أكثر من ٥٧ عاما.

التحديات المعاصرة والمناقشة حول العلمانية:

وعلى كل حال، فنخذل آباءنا المؤسسين للبلاد وإذا لم نصمد أمام أكثر التهديدات المعاصرة خطورة على الثقافة المشتركة والحضارة الشاملة للبلاد التي مثلتها أيديولوجية حزب الشعب الهندي (BJP) وفروعه. فإن الدعامة الفلسفية والاستراتيجيات الوطنية والحركات التكتيكية لمؤيدي هذه الأيديولوجية تعرض

تحديات خطيرة لروح الشعب والقيم الوطنية، علماً بأن هذه الحركة تستلب من الديانة الهندوسية فلسفتها وأفكارها العميقة ومبادئ التسامح ، حيث تبدل القيم الروحية والمبادئ الوطنية وتطبيق استراتيجيات الصراع والعنف والخطوات المتطرفة بالأذى والقتل والإبادة. حيث تحث مؤيديها بواسطة خطابات حماسية بذكر الأخطاء القديمة والتهديدات الزائفة والسخرية من جميع الشعوب، وأظن بأنها خطر كبير لقيمنا الأساسية، وإن لم يتم وقفها فإنها ستحاول تحطيم الديمقراطية الدستورية التي مضى عليها أكثر من ٦٠ عاماً وثقافتنا المشتركة التي مضى عليها أكثر من ثلاثين قرناً.

إنني أعرف بأنه قد تم إجراء مناقشات واسعة حول العلمانية وعلاقتها الدائمة بالحكومة الدينية وذلك في السنوات الأخيرة. ومع ذلك فقد طلب من الأكاديميين إعادة النظر حول هذه الفكرة، علماً بأن منظمة (سنغ بريوار) قد اعتدت عليها بكل قسوة بواسطة عناصرها التشريعية المختلفة التي تقوم بانتقادات رهيبة أو اتخاذ أساليب عنيدة وسيئة حسب المناصب أو الإدارة التي يقومون بها داخل هذه المنظمة.

كما أعتقد بأن الدولة يجب عليها أن تقوم باستعراض قيم ومبادئ تشكيل المنظمات والتي تقوم الحكومة الوطنية بمنحها شعار المنظمات. وبوضع تجارب الدول الأخرى بعين الاعتبار فإن المناقشات التي تجري في الهند حول القيم الوطنية ليس أمراً

مستغربا. فعلى كل من يعتقد بها ألا يشعر بالخجل ويقوم بالاشتراك في هذه المناقشة كما ينبغي عليه أن يكشف عن نقاط الضعف والأفكار الخاطئة والتحريفات والأكاذيب التي يقوم الجانب الآخر بعرضها باسم الهندوسية.

إن المحور الرئيسي لأيديولوجية حزب الشعب الهندي وفروعه اعتبار المسلمين من غير أهالي البلاد. وتقوم بالاحتفال المفرط بالقومية الهندوسية التي تتحدث عن أمجاد الهندوس وثقافتهم على حساب الطوائف الأخرى وتحاول أن تؤثر على دولتنا. واعتبروا الهند موطنا للهندوس فقط وقاموا بانتقاد المسلمين لفشلهم في السير مع الوطن وكونهم غير موالين للبلاد. كما انتقدوا ممارسة البلاد للسياسة العلمانية منذ حصولها على الاستقلال لأنها جرحت مشاعر الهندوس ونياتهم، وهناك دلائل عديدة في التاريخ الهندي على قراءة اختيارية للأحداث الماضية.

إن هذه المحاضرة التي ألقيها عليكم ستوضح عدم إمكانية اعتبار الهند كدولة هندوسية لعدم دعم خبرتنا التاريخية والثقافية لذلك، حيث يمكن ملاحظة التمازج المستمر بين الشعوب المتنوعة والديانات عبر القرون.

ولنعرف مرة أخرى أن اعتبار الأخطاء السابقة التي ارتكبها الحكام المسلمون في الهند إنما هي من باب التضليل، حيث لا يوجد

هناك أي دلائل على اضطهادهم المستدام للهندوس، وبالفعل فإن الصورة مضادة تماماً، وإذا كان هناك بعض الأمثلة لارتكابهم لبعض المظالم على الهندوس، فإنه من الصعب نقل هذه الذنوب عبر القرون على رأس الملايين من المسلمين الذين يعيشون بيننا اليوم.

إن تراثنا الثقافي عبارة عن حصيلة التمازج المستدام للتقاليد الهندوسية والإسلامية والتقاليد الأخرى، وذلك طبقاً لما صرح به أمارتيا سين (Amartya Sen) قائلاً "في الواقع، لا يوجد هناك أية جهة طائفية منفردة يمكن إعتبارها في الأدب أو الفنون الهندية بحيث أن يوضع الهندوس والمسلمون في صفوف مختلفة * ". كما أن مولانا أبو الكلام آزاد الذي يعرف الإسلام وتاريخه أكثر من غيره، قد تحدث عن "الأحداث الهامة في التاريخ" قائلا "بأن تيارات الثقافة الهندوسية والإسلامية مندمجة حيث مضى على تاريخهم المشترك أكثر من ١١ قرنا، علما بأن هذه الثروة المشتركة، طبقا لأقواله، هي عبارة عن تراث للوطنية المشتركة. كما صرح في جلسة رام غره (Ramagarh) للمؤتمر القومي الهندي قائلا:

"وإني معتز بأني هندي، وإني عنصر من وحدة غير منقسمة وهي الوطنية الهندية التي لا يكتمل صرح عظمتها بدون وجودي وأنا عامل مهم أساسي لتواجدها ولن أتخلى من هذه الدعوى البتة".

كما تأثر أزاد بالتقسيم واهتز بسببه، واستطاع أن يذكر بأن الإسلام دين لا يحث على التعصب وحب القتال بل بالشراكة الحقيقية مع ثقافات الديانات الأخرى. إن آباءنا المؤسسين للبلاد قد أعطوا الاعتماد الكلي لتعددية الديانات والتي تعتبر حقيقة حية منذ القرون والتي لا يمكن أن تصبح هزيلة بسبب تعصب البعض الخاطئ واتباعهم نهج تقسيم البلاد.

إن فلسفة حزب الشعب الهندوسي المخالفة للعلمانية قد دفعت بعض المراقبين على القول بأن تاريخنا الذي يدعم قيمنا الوطنية الرئيسية ممتزج، وبالطبع فإن هناك تزايدا في أعداد المنظمات الدينية المتطرفة لتظل الأقليات غير آمنة، بينما تنتشر النزاعات والاضطرابات الطائفية، حتى اضطر مراقب بأن يعبر عن العلمانية في الهند بأنها تافهة وكعبانة.

إنني لا أتفق مع هذا التقييم السلبي بشأن نظامنا العلماني لأنني ما زلت مقتنعا بأن التزامنا بتعددية الديانات والثقافات ما زال محور قيمنا الوطنية وتتمتع بدعم الأغلبية الساحقة. رغم أن بلادنا قد شهدت بعض الاضطرابات الطائفية أحيانا، إن الالتزام الرئيسي لشعب دولتنا بالقيم الوطنية ما زال غير مخفق، وبالطبع لا يمكن لأية حركة سياسية أن تسيطر على السلطة في دولتنا على أساس ولوائح الفلسفة المتحيزة.

حيث ينبغي لأي حزب أو حركة سياسية لحكم الهند تمثيل التنوع الثري للهند ووضع جميع رغبات الطوائف المتعددة على

أساس المساواة في لوائح عملها لكي تمثل حقاً طراز البلاد الجميل. وباتباع ذلك يمكن لنا تحقيق أمنيات مستقبل زاهر للبلاد. وأظن بأن فشلنا حتى الآن يتمركز في مجالين وهما المجال السياسي والمجال العقلي. ففي الساحة السياسية، إننا لا ندعم دائما المتطلبات الأساسية للنظام العلماني وخاصة التعامل المتناسق مع جميع الجماعات والدفاع عن حقوق ورغبات جميع الجماعات وخاصة الطبقات الضعيفة منها، وعلاوة على ذلك يجب تطبيق القوانين بشدة ومعاقبة مرتكبي الجرائم، فلاحظنا عدم اتخاذ أساليب جادة بشأن الالتزام الواقع بالقيم الوطنية الأساسية، إلا أن هذه القيم الوطنية الأساسية هي غاية حزب المؤتمر القومي الهندي.

أما المجال العقلي، فقد قام مفكرو العلمانية المنتمين إلى منظمة "سنغ بريوار" بتعزيز فلسفتهم الفاشلة وتأسيس تحالف سياسي. وحاولت بناء حركة لتعزيز الأيديولوجية المتحيزة وسياسة التعصب والهجوم والتعسف إلا أنها لم تنجح في ذلك. حيث أسفرت نتائج الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٤م عن هزيمة هذا التحالف وجاء القرار الشعبي لصالح دواعي الانسجام الطائفي وسياسة التسامح.

إني أريد أن أعبر من جديد عن التزامنا بقيمنا الوطنية الأساسية المتمثلة في اتباع النهج العلماني والديمقراطي والتعددي. وفي نفس الوقت سنقوم بالاشتراك في المناقشات الجارية حول

العلمانية من أجل الدفاع عن تراثنا الوطني وقيمنا الوطنية ، حيث لن نسمح بضياع تراثنا بسبب عدم وجود أو فقدان وسائل إدانة المجرمين. ولنخوض هذه الحرب لأجل روح الوطن التي هي أكبر دافع لهذا.

المراجع:

[1] - ثابار، روميلا: " Historcial Interpretations and the Secularising of Indian Society، محاضرة لذكرى كابن، فيستار، بنغلور، ص ١٨

[2] - أحمد عزيز: " Studies in Islamic Culture in the Indian Environment"، أكسفورد يونيورسيتي بريس، دلهي، ١٩٩٩، ص ١٣٨

[3] - مجيب، إم، Islamic Influence on Indian Society، ميناكشي بركاشان، ميرت، ١٩٧٧، ص ٩-١٠

[4] - مجيب، إم، The Indian Muslims، مونشيرام مانوهر لال بابليشرز، نيودلهي، ٢٠٠٣، ص ٦٤

[5] - Indian Muslims، ص ٦٧

[6] - نفس المرجع، ص ٨٥

[7] - نقل : أيوب، أبو سعيد: العلمانية وجواهر لال نهرو"، في سينها، تحقيق: العلمانية في الهند، لالفي بابلشنغ هاوس، مومباي ١٩٦٨، ص ١٢٧

[8] - نفس المرجع

[9] - نفس المرجع

[10] - نفس المرجع

[11] - نفس المرجع، ص ١٢٧-١٢٨

[12] - نقل : سين أمارتيا: Secularism and its Discontents، في بارغافا، راجيف (تحقيق): Secularism and its Critics، أكسفورد يونيورسيتي بريس، نيودلهي، ١٩٩٩، ص ٤٧٠

[13] - سين، أمارتيا، المرجع السابق، ص ٤٨٣

خمسون عاماً على العلاقات الدبلوماسية العمانية - الهندية

- خليفة بن علي الحارثي*

تحتفل سلطنة عمان وجمهورية الهند هذا العام ٢٠٠٥م بمرور خمسين عاما على إقامة العلاقات الدبلوماسية بينهما والتي ابتدأت بافتتاح القنصلية الهندية في مسقط في عام ١٩٥٥م. وتأتي هذه الاحتفالات لتتوج علاقات إنسانية وتاريخية بين البلدين تعود لآلاف السنين. وسوف تقام بهذه المناسبة احتفالات رمزية في كل من مسقط ونيودلهي لتخليد المناسبة كإصدار طابع بريدي مشترك، وإقامة المعارض والندوات التي تؤرخ للعلاقات بين البلدين.

بحكم موقعها، تأثرت السلطنة تاريخيا بجغرافيتها، المكونة من الجبال والرمال والبحر. ونظرا لصعوبة اجتياز الجبال والرمال التي تحيط بالسلطنة من كافة جوانبها البرية تقريبا، أصبح البحر

* سفير سلطنة عمان لدى الهند

لسهولة ارتيادها النسبية حلقة الوصل للعمانيين بالعالم الخارجي. وكانت الهند إحدى الوجهات الرئيسية للعمانيين الذين غامروا وتوغلوا في ركوب البحر. وتوجد بعض الشواهد الأثرية التي تشير إلى وجود تواصل إنساني بين البلدين يعود تاريخه لأكثر من ٤٥٠٠ عاماً مضى. فقد وجدت بعض الآثار في السلطنة مصنوعة من الطين والفخار والتي بها رسومات وأختام تمثل حضارة وادي الأندوز (Indus Valley) والمعروفة أيضاً بحضارة الهيرابين.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى وصول الأساطيل البحرية لدولة اليعاربة إلى سواحل الهند في القرن السابع عشر. وكان هذا التواصل اقتصادياً للتجارة وتبادل البضائع واقتناء التوابل والحلي والبخور وغيرها من الاحتياجات في ذلك الزمان. وفي أواخر القرن الثامن عشر ١٧٨٠م أقام تيبو سلطان حاكم سلطنة ميسور في جنوب الهند علاقات تجارية خاصة مع السيد سلطان بن أحمد حاكم عمان في ذلك الوقت. وعيّن السيد سلطان وكيلاً له في مدينة مانجلور (Manglore)، وعيّن تيبو سلطان وكيلاً له في مسقط. ونسق الاثنان فيما بينهما كيفية التعامل مع القوى الأوروبية التي بدأت تتغلغل في المحيط الهندي وبحر العرب في ذلك الوقت.

وكما هو معروف هاجرت العديد من الأسر الهندية منذ أكثر من ٣٠٠ عام من منطقة السند وولاية كوجرات، واستقرت إلى يومنا هذا في السلطنة. كذلك لابد أن تكون هناك هجرات عمانية

الهند. وإن لم يوجد لها أثر معروف اليوم، إلا أنه يوجد في مدينة حيدر آباد (Hydrabad) بولاية أندرا برانيش (Andhra Pradesh) حارة تسمى "حارة صلالة" وفي ذلك إشارة إلى صلالة العمانية. وفي المقابل يوجد في السلطنة وبالتحديد في ساحل الباطنة منطقة تسمى "خور الهند" ومنطقة أخرى تسمى "الحلة الهندية".

والتدليل على عمق العلاقة التاريخية بين البلدين، يكفي الإشارة إلى أن العديد من العمانيين عاشوا ودرسوا في الهند، ويأتي في مقدمة أفراد العائلة المالكة الكريمة. فالسلطان تيمور بن فيصل بعد تركه للحكم في عام ١٩٣٢م، عاش معظم حياته في الهند حتى وفاته – رحمه الله – في منتصف الستينات وقبره موجود في مدينة ممباي (Mumbai) كذلك درس كل من : - السلطان سعيد بن تيمور، وسمو السيد فهر بن تيمور في كلية "مايو كوليج" (Meo College) المعروفة في ولاية راجستان (Rajasthan) . وتضم هذه المدرسة حاليا بيتين باسم "عمان" واحد للضيافة والثاني سكن للطلبة.

اشتهرت السلطنة تاريخيا بتصدير اللبان والتمور والنحاس للهند، ومن جانبها صدرت الهند للسلطنة الأقمشة والبهارات والأخشاب التي صنع منها العمانيون سفن أسطولهم البحري الشهير. ومن يزور ولاية راجستان سيلاحظ التشابه القوي بين نقوش الزري للملابس النسائية فيها وتلك المستخدمة في عمان، كذلك سيلاحظ تشابه لدرجة التطابق لبعض المنتجات والصناعات الخشبية

كالمنابس والأبواب والنوافذ. ولا ننسى هنا ذكر العمامة العمانية التي ظلت حصريا – لفترة طويلة – تصنع وتستورد من كشمير فقط.

وقعت عمان والهند في عام ١٩٥٣م، على اتفاقية الصداقة والتجارة والملاحة. واتفق بموجب هذه الاتفاقية على تبادل القنصليات، وتم فتح القنصلية الهندية في مسقط، في ٢٨ فبراير عام ١٩٥٥م، وكانت بداية العلاقات الدبلوماسية – بالمفهوم الحديث – بين البلدين. ومع مجيء حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم إلى الحكم في عام ١٩٧٠م، استمرت العلاقات بين البلدين في النمو على أسس جديدة. وافتتحت السلطنة سفارة لها في نيودلهي في عام ١٩٧٢م، وبعدها تم افتتاح قنصلية عمانية في مدينة مومباي.

في عام ١٩٨٥م، قام راجيف غاندي (Rajiv Gandhi) بأول زيارة لرئيس وزراء هندي للسلطنة. وتبعه خليفته ناراسيمها راو (Narsimha Rao) بزيارة أخرى لمسقط في عام ١٩٩٢م. وتم خلال هذه الزيارة التوقيع على اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني، وأنشىء على أثرها اللجنة العمانية – الهندية المشتركة. ومع مطلع التسعينات وتحول النظام الاقتصادي العالمي وانفتاح الهند النسبي للاستثمار الأجنبي، اتجهت السلطنة للدخول في شراكة اقتصادية معها. وطرحت العديد من الأفكار والمشاريع المشتركة، وكان من

بينها مشروع الأسمدة في مدينة صور والذي تبلغ تكلفته حوالي بليون دولار أمريكي، ومن المقرر افتتاحه خلال هذا العام. ويعتبر هذا المشروع المشترك مناصفة من أكبر الاستثمارات للقطاع العام الهندي خارج الهند.

وفي النصف الثاني من التسعينات من القرن الماضي، كثفت الاتصالات بين القيادات السياسية للبلدين. ففي عام ١٩٩٦م قام الرئيس الراحل شانكر ديال شارما بزيارة للسلطنة. وفي عام ١٩٩٧م، قام حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم بزيارة رسمية للهند هي الأولى لدولة آسيوية. وخلال عام ١٩٩٨م، قام رئيس الوزراء السابق أتال بيهاري فاجباي بزيارة لمدينة صلالة في أول زيارة خارجية له بعد استلامه لمنصبه.

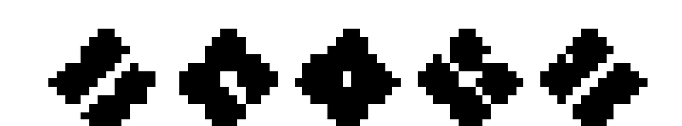
وفي عام ٢٠٠٢م، قام معالي يوسف بن علوي بن عبد الله الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية بزيارة لنيودلهي، تم على أثرها التوقيع على مذكرة التفاهم لإنشاء الفريق العماني – الهندي للتشاور الاستراتيجي للتعاون الثنائي. وهذا الفريق برئاسة وكيلي وزارتي خارجية البلدين، ومنذ إنشاء عقد الفريق ثلاثة اجتماعات وساهم بشكل ملحوظ في توصل الجانبين للعديد من الاتفاقيات والمشاريع. ومن أحدث الزيارات المهمة، الزيارة التي قام بها معالي نتوار سينج (Natwar Singh) وزير الخارجية للسلطنة في ديسمبر ٢٠٠٤م. وتم خلال هذه الزيارة التوقيع على اتفاقية لتبادل

المستهلكين والمحكومين ومذكرة تفاهم للتعاون بين أجهزة الرقابة المالية في البلدين.

يعتبر الجانب الاقتصادي أحد الأعمدة الرئيسية للعلاقات الثنائية بين السلطنة والهند، أسوة بما هو عليه الحال في العلاقات الدولية لعالمنا المعاصر. ويبلغ التبادل التجاري بين البلدين حوالي ٣٠٠ مليون دولار أمريكي سنويا، ومن المتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى ما يقارب ٦٠٠ مليون دولار أمريكي بعد افتتاح مصنع الأسمدة المشار إليه. وكما هو معروف أن هناك جالية هندية كبيرة تعمل في السلطنة ويبلغ عددها حوالي ٣٥٠ ألف فرد. بالإضافة إلى العديد من الشركات والمؤسسات الهندية العاملة في مجالات مختلفة كالطاقة، الخدمات ، البناء، والتشييد. من الجانب العماني هناك استثمارات عمانية في الهند تزيد عن ٢٠٠ مليون دولار أمريكي، في قطاعات السياحة، وصناعة الأدوية والأثاث المنزلي. ويوجد في الهند عدد كبير من الطلبة العمانيين الذين يتلقون دراستهم الجامعية في المؤسسات التعليمية المختلفة في الهند، ويقدر عدد هؤلاء بما يقارب ١٥٠٠ طالب متوزع على مدن بنجلور (Banglor) وبونا (Pune) وتشناي (Chennai) وغيرها على المستوى الإقليمي، ساهمت السلطنة والهند في تأسيس رابطة دول المحيط الهندي للتعاون الإقليمي والتي أصبحت حاليا تضم ١٩ دولة من الدول المطلة على المحيط. كذلك وقامت دول مجلس التعاون الخليجي –

بما فيها السلطنة - مع الهند على اتفاقية إطارية للتعاون الاقتصادي، ويؤمل من خلال هذه الاتفاقية التوصل لاتفاقية أشمل لإنشاء منطقة تجارة حرة بين دول المجلس والهند. وتتيح هذه الاتفاقيات فرصا مستقبلية لتعميق التعاون بين منطقة الخليج والهند في مجالات: الطاقة والاستثمارات المتبادلة والعمالة والتكنولوجيا.

اليوم تقف العلاقات العمانية - الهندية على أرضية صلبة تستند على تاريخ طويل من الاحترام المتبادل والمنفعة المشتركة. وللعلاقات العمانية - الهندية خصوصيتها حيث أنها تتميز بالاستقرارية والاستمرارية والخلو من المشاكل. فالسلطنة تنظر إلى الهند باعتبارها بلدا صديقا ومن ضمن دائرة الجوار وتسعى لبناء شراكة اقتصادية استراتيجية معها. والهند من جانبها تثمن للسلطنة سياستها الخارجية المتوازنة، وخصوصية العلاقة معها، وتشاركها التوجه لخلق شراكة اقتصادية نافعة لكلا الجانبين. وأخيرا يمكن القول أن تاريخ العلاقات العمانية - الهندية المتميز، وما تم إنجازه في السنوات الماضية، يعطي الحافز ويوفر الفرص المناسبة لأخذ العلاقات لآفاق جديدة وواعدة.



المزايا الأسلوبية لكتابات
العلامة حميد الدين الفراهي

- عرفات ظفر*

شهد القرن التاسع عشر مولد كوكبة من العلماء والأدباء والكتاب والمفكرين في شبه القارة الهندية، كان لهم دور عظيم الأهمية في النهضة الفكرية والأدبية العربية المعاصرة في هذه البلاد ولا تزال نتائجها تتفاعل مع مكونات واقعنا بعد رحيلهم جميعا. ومن بين هؤلاء العلماء الأجلة يحتل العلامة حميد الدين الفراهي درجة رفيعة بإنجازاته الرائعة في العلوم القرآنية وإسهاماته القيمة في المجالات اللغوية والأدبية. إنه قام بخدمة اللغة العربية مدرّسا ومحققا طيلة حياته وله دور مرموق لا يستهان به في ترويج العلوم العربية والإسلامية وتطوير الأساليب العربية الفصيحة الخالية من التكلف والتصنع، ولذلك إنه يُعدُّ حتى الآن من أبرز علماء العربية في شبه القارة الهندية.

---

* باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لعل نهرو، نيو دلهي

لم يكن العلامة الفراهي رجلا عاديا في مواهبه وعطاءه في مختلف العلوم والفنون ومعرفة اللغات والثقافات، بل كانت شخصيته ممتازة في أكثر المجالات العلمية والأدبية، فنلاحظ بصماته العريقة في كل مجال خاض فيه العلامة، ولا نزال نسمع وقع أقدامه فيه. وفي الحقيقة أنه كان من ألدّ أعداء الجمود والتقليد والتخلف والتعقّد الذي كان يرتكب المسلمين منذ قرون، فدعا الناس إلى ترك الجمود والركود و حثّهم على التدبر والتفكر والبحث والتحقيق لتغيير مجرى حياة المسلمين، و من أجل هذا الغرض صاغ العلامة الفراهي أصولا جديدة ومناهجَ بديعة لأكثر العلوم والفنون، فلم يبق مجال الأدب والإنشاء حتى أنه أثبت فيه أيضا جدارته وتفوقه وشق لنفسه طريقا جديدة في الإنشاء والكتابة.

علما بأنّ العلامة الفراهي نشأ وترعرع في عصر كان يسود فيه التقليد والمحاكاة على الإنشاء والترسل وكان التكلف والتصنع يتغلب على النثر العربي، وهذا الأمر قد جعل الأساليب العربية النثرية مثقلة بالتراكيب الصعبة والزخارف اللفظية وأصبح أسلوب الحريري العقيم الأجوف هو المعيار الوحيد للكتابة في اللغة العربية، وفسد الذوق اللغوي والأدبي بسبب قراءة المقامات إلى مدة طويلة، فتلاشت الروعة والبراعة في الأدب والإنشاء، وفقد النثر العربي سموَّه وبهاءه و رونقه وجماله، لأن جهود العلماء والكتاب والمؤلفين قد انحصرت في تلك الفترة من الزمن على كتابة التلخيص والتعليق والشرح والتحشية بدلا من الإبداع والابتكار. وفي هذه الظروف القاتمة نشأ وشبَّ العلامة الفراهي وأخذ اليراع

بيده وحاول أن يخرج من النمط الذي كان يعم في الكتابة العربية ويتحرر من عقال أساليب المقامات العويصة، فاختار لنفسه أسلوبا سهلا بسيطا خاليا من التكلف والتصنع والتعقيد والتسجيع، كما يقول الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي في هذا الخصوص:

" الأستاذ الفراهي اختار اللغة العربية لغة الكتابة لجميع آثاره الأدبية والعلمية، فهو بهذا العمل الجليل قد أضاف ثروة فكرية وثقافية ولغوية إلى اللغة العربية وبخاصة في زمن كانت فيه اللغة العربية في حاجة إلى مثل هذه الآثار العلمية والأدبية، لأن الكتب والمؤلفات والأبحاث التي كانت تكتب فيها إلى عصره، كلها كانت سقيمة الأسلوب، عقيمة الفكر وكانت شرحا أوتلخيصا للكتب العربية القديمة التي ألفت في عصور ضعف فيها مستوى اللغة والفن والثقافة[1]."

وبعد التضلع من اللغة العربية والمهارة في العلوم الإسلامية أقبل العلامة الفراهي على الكتابة واختار لغة الضاد كوسيلة للتعبير عن آرائه وأفكاره ولإصلاح المساوي المتفشية في داخل الأمة الإسلامية بأجمعها، وإنه اختار اللغة العربية للكتابة مع أن أستاذه العلامة شبلي النعماني كان يلح عليه ألا يكتب أي شيء في هذا الزمن إلا بلغته الأم[2]. ولكنه واصل الكتابة في هذه اللغة المباركة، لأنه كان يريد أن يخاطب بكتاباته علماء الأمة المحمدية المنتشرين في جميع أقطار العالم وكانت اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لتبادل الآراء فيما بينهم. وعلى أية حال، فلما علم العلامة شبلي

النعماني بأن العلامة الفراهي لا يحبُّ الكتابة إلا بالعربية، كتب إليه قائلا:

" علمت بأنك كتبت شيئا باللغة العربية. هل تعمل هذه الأعمال الغير مجدية و تعجب نفسك بالكتابة العربية؟ أتريد أن ينشأ حريري آخر؟ وما الفائدة منه؟ هل يحتاج المسلمون اليوم إلى الحريري وامرئ القيس٣ ."

ولكن عندما اتضح عليه غرض العلامة الفراهي و غايته النبيلة من الكتابة بالعربية و تعرف العلامة على مشروعاته العلمية الواسعة، تغير موقفه تماما في هذا الشأن، فبدأ يحبُّ كتابات العلامة الفراهي العربية ويطالبها منه، وأعجب بآثاره العلمية و اللغوية و الأدبية الموجودة في هذه اللغة، فيقول في رسالة أخرى إليه وهو يثني فيها على إجادته اللغة العربية وقدرة بيانه فيها:

"رأيت "نظام القرآن" من أوله إلى آخره، لا يمكن الكلام في حسن تعبيره وأسلوب بيانه، ".

على كل حال، فإن اهتمام العلامة الفراهي باللغة و الأدب والكتابة لم يكن إلا لفهم القرآن الكريم والتدبر في آياته وإدراك معانيه السامية والتذوق ببلاغته و فصاحته، فصنف حوالي أربعين كتابا مطبوعا وغير مطبوع بالعربية ومعظمها يتناول موضوعات قرآنية. ولكن الأمر الذي يثير إعجابنا وتقديرنا يتلخص في أن العلامة الفراهي رغم تربيته وتدريبه على الأسلوب البارد الثقيل

واللغة المسجوعة والمحسنات اللغوية والبدائع اللفظية التي كانت تتصف بها اللغة العربية في زمن حياته، اختار لكتاباته سليقة أدبية فريدة تنمُّ عن قدرته الفائقة على التعبير عن المعاني اللطيفة والأفكار الدقيقة بأسلوب سهل فصيح. إنه يتناول في مؤلفاته المباحث العلمية الرزينة من علوم القرآن وأصول تفسيره والعقائد والتزكية وملكوت الله والتاريخ والبلاغة والمعاني ولكنه يعالج هذه المواضيع المتنوعة بأسلوب يمتاز بالبساطة والسهولة والدقة والرصانة، وكل هذا يدل على أن قدرته اللغوية المتميزة وبراعته الإنشائية كانت دوما تواكب إبداع ذهنه ونتاج فكره وخواطر قلبه، فاستمر هذا العطاء الفكري والثراء اللغوي جنبا لجنب والآن نودُّ أن نقدم على سبيل المثال بعض النصوص العربية المقتطفة من بعض مؤلفات العلامة الفراهي و رسائله العربية، لكي نقدر بأنفسنا تلك الخصائص اللغوية والتعبيرية التي تتحلى بها آثاره العلمية، فيقول العلامة الفراهي عن أهمية الإيجاز وتأثيره في الكتابة والبيان:

" فإن اللفظ إذا قل يتراءى المعنى متجردا عن حجبه، فيزيده تنويرا وتأثيرا كأنه أرهف حده وقرّب بعده، وهذا مما يجعل الاستعارة أحيانا أبلغ من التشبيه. ولا حاجة إلى توضيح حسن الإيجاز فإنه مبسوط في كتب البلاغة، وقد بالغ في استحسانه بعض كتاب زماننا، فقال إن الإيجاز لهو البلاغة، وتكلف في رد جميع المحاسن إليه، وإنما جعله أصل البلاغة لتشعب أفنانه وتقلب ألوانه،

فلم يدخل بابا من أبواب البلاغة إلا ورأى الإيجاز هناك موجودا، لقصر النظر عليه ......هذا، والعرب لذكائهم وكبرهم كانوا يحبون الإيجاز أكثر من أقوام أخر، ولذلك لا ترى شيأ من القرآن إلا ومعناه أوفر من اللفظ فإن لطلب قولا من وجه أوجزه من وجوه أخر، ولذلك لا تنقضي عجائبه ."

وكذلك يقول العلامة الفراهي في موضع آخر عن وجود العلم الفطري قبل وجود العلم النظري:

" لاشك أن فقهاء الصحابة بل عامتهم كانوا أبصر وأعلمَ بالقرآن لوجوه كثيرة. ولم يكن لهم احتياج إلى أصول علم البيان وفروعه ولا علم النظر والاستدلال. فإن ذوقهم وسلامة عقولهم قد أغناهم عن ذلك، فإن كثيرا من العلوم المدونة ليست إلا كالدواء للمرضى. ألا ترى أن علم العروض والبيان إنما حدث بعد وجود كثير من الشعراء المجيدين والبلغاء المفلقين، بل ذلك إنما أخذ من كلامهم كما استخرج علمُ النحو من كلام أهل اللسان الذين لم يقرءوا ولم يكتبوا[٦]."

وفي هذا الصدد إنه يوضح موقفه بمزيد من الكلمات، فهو يقول:

" لاشك في أن كثيرا من الصحابة إذا فسروا القرآن كانوا كالبحر الزاخر والسحاب الهاطل. يلقون على أصحابهم ماكان يملأ

صدورهم علما وحكمة، ولكن مع ذلك بل لذلك لم يستطع السامعون أن ينقلوه للخلف، ألا ترى تجلس في مجالس الوعظ والخطب وترى صدرك قد امتلأ وعقلك قد وعى معارف، ولكن لا تستطيع إلقاءها على غيرك، بل ترى تضمحل هذه المعارف وتمحي عن قلبك ولكن تجد أثرها قد بقي، فهكذا كانت خطب النبي صلى الله عليه وسلم و خطب البلغاء، لم يحفظوها ولم يرووها إلا نبذاً منها مع بقاء آثارها في القلوب، و ما رووا إنما هي قطرة من عباب»⁷.

وعلى هذا النحو كان يكتب العلامة الفراهي رسائل وخطابات إلى بعض العلماء ولأصدقائه باللغة العربية، فيقول العلامة سيد سليمان الندوي عن رسائله العربية وأسلوبها: "وكان يكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحائهم⁸." فتشتمل مجموعة رسائله على بعض الرسائل العربية، ونود هنا أن نقدم بعض النماذج منها لإبراز خصائص أسلوبه وطرق تعبيره في الإنشاء والبيان، فيكتب في إحدى الرسائل الموجهة إلى صديقه الكريم الشيخ عبد الحق البغدادي الذي كان يجيد اللغة العربية:

"وصل كتابكم المبارك بعد أن رجعت عن الوطن وفرحت بما أخبرتموني عن عافيتكم وفوزكم ببيت في رسل غنج (Rasulgang)، و إقامتكم مع أهل بيتكم فيه، فأهنئكم بأعياد كثيرة ونشكركم يا سيدي بما أرسلتم إلي من ثلاث قطعات من قماش أنكوري (Anguri) ولكن أتعجب كيف تعزمون علي بأن أرغب في بعض منها، فإن الرغبة ليست مما يقدر عليه القلب وقد خالطني

الشيب (فلو بقي فيّ رغبة إلى الألوان لبدّلت بياضي بالسواد) فبيّض مكان علي من السواد ولا بد لأمر جنابكم من اختيار بعض الألوان ، فاجعل نفسي متراغبا في لون أشبه بالبياض[٩] ."

وفي رسالة أخرى يكتب إليه:

" يا سيدي، حديثي عجيب ما رجعت من جنابكم حفّتني المشاغل، فلم أشتغل بالبعض إلا والأخر باقية تحوم حول رأسي ودقيقها وخفيفها ملأ أذني، فكأني مختلف عن نفسي. وكان من فوت الفرصة أني رددت خدمة امتحانات البنجاب(Punjab) وحيدرآباد (Hydrabad) وإله آباد(Allahabad)، ومع ذلك لم يسعني أن أرد إثنين منها، لأنهما وقعتا عليّ كالحكم المبرم، فإن قبلتم عذري فهو المأمول من مودتكم. كتاب الأضداد والمزهر مرسلان إليكم، والآن أرسل إلى جنابكم خمس عشرة روبية والباقي في الشهر القابل، أرجو أن تخبروني عما يبقى على ذمتي من الأثمان[١٠] ."

فيتبلور من هذه النصوص المقتبسة أن العلامة الفراهي كان يمتلك قدرة تامة على التعبير عما كان يدور في ذهنه ويخطر في قلبه من الأفكار والعواطف في النثر العربي العلمي السلسال، وأما أسلوبه فهو متصف بالبساطة والسهولة والإفصاح والإبانة والتركيز على المعنى وإيضاح الفكرة والبعد عن التكرار والاجتناب عن الزخارف اللفظية، فلا يطغى فيه اللفظ على المعنى ولا تعتدي فيه المعاني على اللفظ بل يتحقق فيه التناسب والاتزان بين الشكل والمعنى.

ومن المميزات الأخرى لأسلوب العلامة الفراهي أنه يميل في أكثر الأحيان إلى غاية من الإيجاز فلا يزيد كلمة على ما يراه كافيا لأداء المعنى المراد، بل في بعض الأحيان أنه يكتفي بالإشارة ولذلك قد يتعذر فهم نصوصه على القرّاء، كما يصعب على الدارسين والباحثين أن يقدموا ملخص بحوثه وكلامه لما يمتاز بيانه من شدة الإيجاز وحسن الرصيف. وكل من يمر ببحوثه مؤلفاته كالريح العاصف أو البرق الخاطف يبقى صفر اليدين ولا يمكن له الاستفادة منها، لأن كتبه تتطلب قدرا كبيرا من الإمعان والتفكر من قرائها ليستوعبوا مباحثها ومطالبها استيعابا كاملا. والقى الشيخ امين احسن الإصلاحي الضوء على هذه الميزة لأسلوبه قائلا:

"قل هذه الخاصية ما شئت من العيب أو القدرة بأن العلامة الفراهي كان يحب الإيجاز والاختصار في كتابته للغاية، ومع ذلك فإنّ هذا الإيجاز والاختصار في أسلوبه لم يكن يخل في تأدية المعاني والمطالب، وفي الحقيقة أنه كان يؤدي كلاما في سطور مما يبينه الآخرون في صفحات، وليس هذا الأسلوب بصحيح و مفيد لرجل ذكي فحسب بل أنه لا يحب سواه ولكن رجلا عاديا إن لم يدرس مؤلفاته بعمق النظر و دقة البصر، قلما يدرك منه شيئا" [1]."

والعلامة الفراهي بنفسه قد أشار في موضع إلى هذه الميزة لأسلوبه قائلا:

" إني لا أحبُ الإسهاب ونحسن الظن بمقالك" [2]."

ومع هذا كله أنه يختار أسلوبا جميلا رائعا في حين يعالج موضوعات علمية وأدبية واجتماعية وتاريخية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلامة الفراهي في بعض الأحيان يستخدم أساليب وتعابير قرآنية في كتاباته العربية، وذلك لأنه - كما هو المعلوم - ظل غارقا في بحر القرآن طول حياته، يبحث عن معارفه وعجائبه، وهكذا رسخت لغة القرآن وتعابيره في ذهنه، وغلبت كلماته وأساليبه على لسانه، فكانت تتدفق هذه التعبيرات والأساليب من قلمه خلال كتاباته وتنعكس آثارها في مؤلفاته، فننقل هنا بعض الجمل على سبيل المثال من بعض مؤلفاته، الذي يتجلى فيه نور القرآن وتفوح منه رائحته، يقول العلامة الفراهي في موضع: "فذلك برهانان ثم نعزز هما بثالث وهو أن العرب لم يعمدوا الكلام إلا لحسن معناه [٢]." ونجد نفس الأسلوب في القرآن حيث يقول عز وجل: "فذانك برهانان من ربكم " (سورة القصص: ٣٢)، و "فعززنا بثالث " (سورة يس: ١٤). ويقول العلامة الفراهي في موضع آخر: "ولهذه الدلالة التي هي ظاهرة على السامعين القلوب الذين لا يخرون على آيات الله صما و عميانا[٣]." وجاء هذا التعبير في القرآن كما يلي: "والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا" (سورة الفرقان: ٧٣). وكذلك كثيرا ما يدعم العلامة الفراهي آرائه وأفكاره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال أجلة الصحابة والتابعين وآراء كبار المفسرين.

وقد أشار بعض العلماء والأدباء إلى أن بعض الكلمات والتعبيرات في كتابه "جمهرة البلاغة" تتشابه بالكلمات والأساليب الأردية، كما أنهم أيضا لفتوا أنظارنا إلى الغموض والإجمال الموجود في هذا الكتاب. ولعل السبب وراء هذا كله يكمن في أن هذا الكتاب غير مكتمل مثل معظم كتب العلامة، فلا يتمتع بدرجة كتاب كامل تتمتع بها الكتب المطبوعة في حياة مؤلفيهم، و في الحقيقة لم يجد العلامة الفراهي فرصة لإعادة النظر في شكل هذا الكتاب ومضمونه، ولكن السبب الرئيسي هو أن هذا الكتاب من باكورة أعمال العلامة الفراهي ولذلك وردت بعض الكلمات والأساليب غير الفصيحة فيه، وهذا واضح من كلمات العلامة سيد سليمان الندوي التالية :

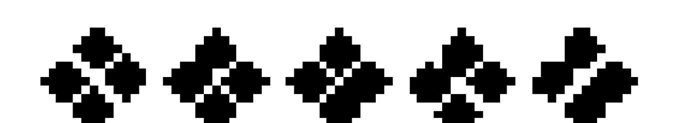
" إنه من أوائل كتب العلامة الفراهي، ولعله ألفه في عام ١٩٠٤م أو بعد ذلك تمرّس قلمه، وبالرغم من ذلك مستوى عربيته في هذا الكتاب عال جداً، غير هذه الكلمات والمحاورات المعدودة التي غلبت على قلمه".

وعلى أية حال، فلاشك في أن العلامة حميد الدين الفراهي يحتل مكانة مرموقة بين الكتاب والمؤلفين الذين اختاروا اللغة العربية للكتابة والتعبير في شبه القارة الهندية، ويتسم أسلوبه بوجه عام بالبساطة والسهولة والبعد عن التكلف والتكرار، فهو من روّاد الكتاب الذين أقبلوا على الكتابة في النثر العربي الفصيح المرسل

الذي يختلف كثيراً عن النثر المسجوع والأسلوب التقليدي القديم الذي كان رائجاً في زمن حياته. وقد اعترف بهذه الحقيقة الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي إذ هو يشير إلى مساهمة العلامة الفراهي في إثراء اللغة العربية ورفع مستوى التصنيف والتأليف في شبه القارة الهندية:

" على كل حال إن الأستاذ الفراهي هو من الشخصيات الفذة التي رفعت مستوى اللغة العربية كما رفعت مستوى التصنيف والتأليف في الهند بل في العالم العربي كله، فهو بأعماله وآثاره أصبح معجزة للثقافة العربية والدينية، ويبقى خالداً في صفحات تاريخ الفن والأدب[٦]."

فبفضل جهود العلامة الفراهي وأمثاله الآخرين من العلماء والأدباء والكتّاب والمؤلفين الهنود عادت إلى اللغة العربية حيويتها ونضارتها وقوتها ونصاعتها في التعبير والبيان وهكذا تحققت على أيديهم نهضة اللغة العربية في ربوع الهند، بعد أن تكبدت خسائر فادحة على أيدي الكتّاب الذين كانوا يتلاعبون بالكلمات والتراكيب وينمقون عباراتهم بالصنائع اللغوية والزخارف اللفظية.



المراجع:

مجلة المجمع العلمي الهندي عليكره، ج١٧، ع١-٢، ص٥٦

[٢] مقالات شبلي، ج٢، ص١٤

[٣] ذكر فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، ص١٥٨

[٤] المصدر السابق، ص١٦٠

[٥] إمعان في أقسام القرآن، للمعلم عبد الحميد الفراهي، ص٩٦

[٦] التكميل في أصول التأويل، للمعلم عبد الحميد الفراهي، ص ١٠-١١

[٧] المصدر السابق، ص١١-١٢

[٨] إمعان في أقسام القرآن، ص١٦

[٩] مكاتيب فراهي، للدكتور شرف الدين الإصلاحي، ص٦٥

[١٠] المصدر السابق، ص٦٨-٦٩

[١١] ذكر فراهي، ص٧٣٢-٧٣٣

[١٢] جمهرة البلاغة، ص٢٤

[١٣] المصدر السابق، ص١٠

[١٤] دلائل النظام، ص١١٩

[١٥] مكاتيب سيد سليمان الندوي، رتبها الشيخ مسعود عالم الندوي، ص١٨٠

[١٦] مجلة المجمع العلمي الهندي، عليكره، ج١٧، ع١-٢، ص٥٧

العلامة عبد العزيز الميمني
وموقفه من التأليف والتحقيق

ـ د. فوزان أحمد بن مقتدى حسن*

يعود تاريخ ارتباط الهند باللغة العربية إلى ظهور الإسلام في شبه القارة الهندية، فالهنود بعد اعتناقهم للإسلام بذلوا عنايتهم في نشر الثقافة الإسلامية ونوّروا أقطار الهند بشموع العلم والمعرفة. واللغة العربية حظيت بمكانة سامية لديهم، والفترة التي تمتد عبر خمسة قرون تعدّ أخصب الفترات، لأن العلوم والفنون نقلت عن طريق الترجمة في هذه اللغة إلى البلدان العربية، والعلماء العرب اهتموا بهذه العلوم ودعوا عديداً من العلماء إلى بغداد وشجّعوهم على مواصلة نشر العلوم.

من جهة أخرى نرى أن المسلمين اعتنوا بالعلوم اللغوية والأدبية مع الاهتمام بعلم الكتاب والسنة، فهم ألفوا كتبا أخلدت أسماءهم في تاريخ بلاد الهند. ومن بين هؤلاء العلماء البارزين نجد

---

* ـ محاضر، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي

شخصية العلامة الميمني الذي لا يزال مفخرة الهند في خدمة التراث العربي القديم. وهذه الشخصية العظيمة ذات جوانب متعددة عرفت بإقبالها على اللغة العربية وآدابها، وبمساهمتها في التأليف والتحقيق وحظيت بتقدير وإعجاب من العلماء والباحثين في الهند وفي الدول العربية على المستوى الواسع، وذلك لأنها قضت نحو أربعة عقود من حياتها في خدمة اللغة العربية وآدابها، وخرّجت أجيالا عديدة تربّت على حبّ هذه اللغة، واشتغلت بتعليمها ونشرها في شبه القارة الهندية، وساهمت في دفع عجلة الحضارة إلى الأمام.

أسرة الميمني:

جالية ميمن من الجاليات التي لها سيطرة كبيرة منذ القديم على التجارة في ولاية غوجرات، وتشتّل هذه الجالية تلك المهنة حتى يومنا هذا، ألقى العلامة الميمني الضوء على هذه الجالية في سيرته الذاتية الموجزة، فقال:

"أما الميمنيون- قومنا- فيقال إن أسلافنا كان من "السند" دخلوا في حظيرة الإسلام على يد بعض المرشدين من الطريقة "الجيلانية" ولعل ذلك في القرن التاسع. وغاية ما أعرف من أوليتهم أنهم كانوا جلوا عن "السند" إلى كاتهياوار في أيام بعض الملوك المظفرية بأحمد آباد قبل الإمبراطور أكبر".[1]

وأبو العلامة الحاج عبد الكريم كان رجلا متواضعا بسيطا تقيا، وجدت فيه عناية شديدة بالدين وعلومه، وهي التي أيقظت في

نفس الميمني حب العلم والولوع بالدراسة الدينية، فشمّر ذيله لهذه الدراسة وخرج في سبيل العلم يقطع واديا بعد الآخر.

أما أم العلامة فهي مريم بائي. كانت امرأة صالحة وعاشت حياة مليئة بالزهد والتقوى، نجد شهادتها في صورة نشأة العلامة في رعايتها وكنفها لأن الأم تعتبر مربية أولى للطفل، وهي أثبتت أنها وفت ما يجب عليها من حق تربية العلامة الميمني، ووفرت له بيئة ملائمة للتعليم، وزرعت في قلبه بذور المحبة للعلم واحترام العلماء.

اسمه ونسبه:

هو عبد العزيز بن الحاج عبد الكريم بن يعقوب بن عبد الله أباني. واختار الميمني لنفسه كنية أبي البركات، ثم تركها إلى أبي عمر لولده مسمى بهذا الاسم. وعرفنا من توقيعه على القصيدة التي نمقها في مرثية العلامة الشيخ محمد بشير السهسواني أنه كان حينا يتكنى بأبي عبد الباري[2]. ولا نجد سبب اختياره في كتابات العلامة ولا في أحد كتابات مترجميه.

أما نسبه فهي الميمني والراجكوتي والسلفي والأثري. أما الميمني فإنه نسبة إلى الجالية التي انحدر منها، والراجكوتي نسبة إلى مدينة راجكوت، ونسبة السلفي والأثري فقد ذكر الدكتور شاكر الفحام "أنه كان يشير بهما إلى العقيدة التي ارتضاها وسكن إليها"[3]. وإني أرى أن الذي دعاه إلى إبراز هاتين النسبتين هو انفصال مسلمي

الهند إلى مختلف الجماعات الإسلامية، فقد أحب العلامة أن يبرز انتسابه إلى هذه العقيدة السلفية التي تميزه بين هذه الجماعات.

وهو كذلك يكتب قبل اسمه لفظ "الغريب" أو "العاجز" أو "خادم العلم" فكأنه أشار بكلمة الغريب إلى ما ورد في الحديث "كن في الدنيا كأنك غريب" وبكلمة "العاجز" إلى ما تمتع به من التواضع أمام الناس وزهده في الحياة وبكلمة "خادم العلم" إلى ما كان يكن في نفسه من تقدير العلم ومحبة وتكريم للعلماء.

ولادته:

ولد العلامة في بلدة "غوندل" بمديرية راجكوت(Rajkot) في إقليم سوراشتر الذي كان يدعى كاتهياوار في ذلك الوقت بولاية غوجرات في أكتوبر ١٨٨٨م[٤]. هذا هو الشهر والسنة في كتابات معظم المترجمين حتى في مقال ابن صاحبه الدكتور محمد محمود ميمن[٥].

ولكن تفرد الأستاذ الدكتور محمد سليمان أشرف في محاضرته التي ألقاها في ندوة وطنية حول حياة العلامة عقدها قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليكره الإسلامية، ونشرت محاضرته فيما بعد في مجموعة قدمها القسم للقارئين عن الندوة. فذكر الأستاذ أشرف أن "العلامة رأى النور في ٥/مايو عام ١٨٨٩م"[٦].

ونرى هذا التاريخ أقرب إلى الصحة لأن الأستاذ أحال لهذا الذكر إلى شهادة خطية تؤكد بها العلامة الميمني، ولا نجد في كتابات

العلامة شاهدا غيرها حتى في المقال الذي كتبه عن نفسه، فلم يصرح فيه تاريخ ولادته.

وفاته:

توفي العلامة الميمني في ٢٧/ أكتوبر عام ١٩٧٨م عن عمر يناهز تسعين عاما بعد أن قضى حياة حافلة بخير الأعمال من دراسة وبحث وتأليف ونشر العلم ولما ودع العالم بكى عليه كل من له صلة بالعلم والأدب، ونشر خبر وفاته بالإذاعات والصحف والمجلات[٢].

حياته الدراسية وتكوينه العلمي:

اهتم العلامة الميمني بالدراسة والتدريس مع أن أسرته لم تعرف بكثير من النشاط العلمي وبأعلام العلماء والدارسين، بل كانت على مستوى متوسط من الثروة، وقدر قليل من العلم ، ولكن الله تعالى أكرمها بهذا الجبل الشامخ الذي بلغ مكانة رفيعة يحسد عليها الناس.

بدأ العلامة الميمني المرحلة الأولى من الحياة الدراسية قبل أن يبلغ السادسة أو السابعة من عمره بقراءة القرآن الكريم نظرا وبعض مبادئ اللغة الأردية في بيته. فهذه هي الخطوة الأولى في نشاطه الدراسي. ثم أرسله أبوه إلى جوناكره حيث كانت توجد مدرسة تسمّى مهابت مدرسة، وذكر العلامة الميمني أنه تعلم فيها

تأطّر رواق الطلبة بجانب قيامه بالتدريس في الكلية. واستمرت إقامته في الكلية الشرقية إلى سنة ١٩٢٥م.

(٣) جامعة عليكره الإسلامية:

كانت جامعة عليكره الإسلامية قبل تقسيم الهند أكبر المراكز التعليمية والثقافية في الهند، يؤمها الطلبة من أطراف الهند كما يقصدها الطلبة من البلاد الأخرى. وقد كانت ولا تزال دون شك معهدا علميا معروفا، وكان الطلبة من معتقدي الأديان الأخرى كذلك يغترفون من بحرها ويرتوون من معينها.

كان للعلامة الميمني رغبة قوية في خدمة اللغة العربية في مثل جامعة عليكره الإسلامية، ولم تكن حياته في الكلية الشرقية حياة آمنة هادئة، لأنه- طبقا لبعض مترجميه- كان متضايقا في الكلية الشرقية لما كان يواجهه من المعاملة السيئة من بعض رجالها[1]. فلما علم عن وظيفة شاغرة في قسم اللغة العربية بهذه الجامعة قدم طلبه إلى مسجل الجامعة في ١٩/ سبتمبر ١٩٢٤م. وقد تمت الموافقة على هذا الطلب فتم تعيينه في الجامعة.

وقد ساعده الحظ في الجامعة فعيّن فيها أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها واستمر فيها إلى سنة ١٩٥٠م. فهكذا نرى أن فترة بقاء الميمني في جامعة عليكره الإسلامية استغرقت نحو خمس وعشرين سنة وأنه قد قام في هذه الفترة بمسؤولية التدريس ومسؤوليات إدارية أخرى.

حياة العلامة الميمني كلها مليئة بالانجازات، فلم يتوقف يوما عن عمل التأليف والتحقيق، بل واصل الجهد في هذا المجال في مراحل حياته كلها، ولو أردنا أن نقيم موازنة بين هذه المراحل لتبين لنا أن مرحلة إقامته في جامعة عليكره الإسلامية تُعَدُّ أخصب المراحل وأغناها من ناحية الإنجاز العلمي.

(٤) معهد الدراسات الإسلامية بكراتشي:

وبعد التقاعد فضّل البقاء والتيام في عليكره، ولكن شاء الله تعالى أن يقضي بقية حياته في دولة باكستان التي كانت قد أنشئت حديثا. وفيما يلي نلخص قصة انتقاله إلى باكستان، وأوردها ابنه الدكتور محمد محمود ميمن:

"سافر العلامة إلى باكستان عام ١٩٥٤م لزيارة أصدقائه وأقربائه، وكان هناك أصدقاء يقدّرون أعماله، منهم سفير مصر لدى باكستان الأستاذ عبد الوهاب عزام بك، كان من كبار العلماء والأدباء ومن المقدرين لأعمال العلامة الميمني، فلما سمع بقدومه انتهز هذه الفرصة وبادر إلى القائمين بأمور الحكومة وخاصة إلى الأستاذ ممتاز حسن رحمه الله السكرتير في وزارة المالية الباكستانية، وكانت بينه وبين السفير المصري صداقة وأخوة، وكان كلاهما يقدّران العلامة عبد العزيز الميمني خير تقدير، ويريدان أن تستفيد الحكومة من علم العلامة الميمني وتجاربه في ميدان التحقيق العلمي، فاتفقا على أن تعرض عليه وظيفة مدير شرف لمعهد الدراسات الإسلامية. فقد صدر بهذا الصدد القرار الحكومي من

وزارة التعليم بتاريخ ٢/ أكتوبر ١٩٥٤م ورقم ألف (١-٤٣)/٥٤ أي. بي. وعيّن أول مدير للمعهد المذكور، واستلم وظيفته هذه في ٤/ أكتوبر ١٩٥٤م بعد أن ألح عليه الأستاذ عبد الوهاب عزام وممتاز حسن. وكان العلامة آنذاك هندي الجنسية، وحصل تأشيرة الدخول إلى باكستان لمدة شهر واحد فقط فرجع إلى الهند ثم عاد إلى باكستان بعد أن حصل على الجنسية الباكستانية وبدأ عمله في الدراسات الإسلامية"[١١]

ذكر بعض المترجمين أن العلامة واجه ظروفا غير ملائمة فآثر أن يستقيل من المعهد في ١٨/ يونيو ١٩٦٠م.

(٥) جامعة كراتشي:

يشير بعض الكتابات إلى أن العلامة أثناء قيامه بمهمة إدارة المعهد عُين في جامعة كراتشي وأنشأ فيها القسم العربي، وأصبح رئيسا له، يدرّس الطلاب ويرشد الباحثين ويخدم العلم والأدب.

وبعد إنشاء هذا القسم حدثت ظروف دفعته إلى ترك الجامعة فتركها في ٢١/ مارس ١٩٥٩م، وانصرف إلى المعهد كليا، وأنفق فيه جلّ وقته.

(٦) جامعة بنجاب:

ذكر مترجمو العلامة الميمني أنه تولى مسؤولية رئيس القسم العربي في الكلية الشرقية بجامعة بنجاب، وقدم إليها سنة ١٩٦٤م بدعوة من رئيس الجامعة البروفيسور حميد أحمد خان وأقام بلاهور سنتين وبقي في منصبه إلى ١٩٦٦م. وبعد هذه الإقامة

في لاهور التي امتدت لمدة سنتين فقط رجع العلامة إلى كراتشي وواصل عمله هناك.

(ب) الجولات العلمية:

قام العلامة بالجولات العلمية العديدة مبكرا في حياته، سواء كانت هذه الجولات لحصول التعليم أو لحصول المخطوطات والمطبوعات العربية. وأثناء الجولات قابل العلماء والأدباء وناقش معهم مسائل علمية وتبادل الآراء حول القضايا الأدبية واللغوية.

وفيما يلي بعض الجولات نظرا إلى أهميتها في تكوين شخصية العلامة وكمالها:

قام العلامة بزيارة علمية لنشر بعض كتبه من القاهرة، مصر، وانتهز هذه الفرصة وطوّف في البلدان العربية الأخرى، يصف هذه الزيارة فيقول:

"نقبت عن جل المكاتب العمومية وبعض الخصوصية – على ما تسنى لي – وهي لا تقل عن ٧٥ خزانة في مصر والاسكندرية واستنبول وحلب ودمشق والقدس وبغداد والنجف، وعلقت مذكراتي وما سقطت عليه من الشوارد والنوادر في الجذاذات والدفاتر، وأراها من خير ذخيرة اقتنيتها في حياتي واخلفها بعد مماتي"[16].

ويخبر الدكتور أحمد أمين عن هذه الرحلة في مقدمة كتاب "الطرائف الأدبية" للعلامة الميمني، فيقول:

"منذ نحو سنتين قدم إلى القاهرة صديقي الأستاذ عبد العزيز الميمني من الهند. وظل يدأب العمل في دار الكتب المصرية، ويمضي أكثر وقته في النسخ والتعليق، ثم سافر إلى الشام والعراق والأستانة، ينقب في دور الكتب"[١٣].

قام العلامة الميمني بالجولتين العلميتين أثناء عمله على منصب مدير المعهد الإسلامي بكراتشي لجمع المخطوطات العربية والكتب النادرة فزار فيهما إيران والعراق وسوريا ولبنان وتركيا ومصر وتونس والمغرب ويشتغل العلامة في هاتين الجولتين ليل نهار، ويجمع الكتب، ويقابل الناس ويخرج الساعة السابعة صباحا، ويبقى ويبحث عن النوادر العلمية، المخطوطة منها، والمطبوعة في المكتبات العامة والخاصة، وعند باثعي الكتب القديمة والحديثة، حتى إنه كان يقضي ساعات على الأرصفة عند باثعي الكتب القديمة العتيقة والمستعملة والجديدة.

وهو نجح في مهمته العلمية لجمع حوالي خمسة آلاف كتاب، وكانت هذه الكتب العلمية النادرة تشتمل على المطبوعة والمخطوطة وصور المخطوطات والنوادر.

(ج) من التأليف:

وكل من ينطق لغة الضاد يعرف جيدا أن العلامة الميمني من العلماء الذين يعدون صاحب فكرة وأسلوب في الأدب العربي، شهد بذلك الزمان واعترف بفضله وعلمه كل من الإنس والجن،

وهو قضى حياته في سبيل العلم للعلم فقط، لا لكسب شهرة ولا لنيل منفعة، بل ابتغاء لوجه الله وإرضاء له، وفي نشاطاته العلمية نرى أنه بجانب التدريس في المعاهد والجامعات ذات سمعة عالمية قام بتأليف الكتب وتحقيقها وهو يمارس أسلوبا نادرا في كل مجال من مجالات التأليف والتحقيق والتدريس، ولذا نرى أن عدد المعجبين لا يزال يزداد بمرور الزمن، وهو يشارك أيضا مشاركة فعالة مع تدريسه وتأليفه في النشاط اللغوي والأدبي بمحاضراته ومقالاته التي ينشرها ويلقيها في حين وآخر. وندرك مدى عنايته باللغة العربية إنه قام بإحياء المخطوطات العربية النادرة وإبراز دفائن العلم في الدور والمكتبات العمومية والخصوصية في البلاد الإسلامية.

الآن نقوم أولا بسرد قائمة الأعمال التأليفية والتحقيقية، ثم نتناول بعضا منها للدراسة التفصيلية، وخاصة كتابه "أبو العلاء وما إليه" الذي أثار ضجة في الأوساط العلمية والأدبية وطار صيته به خارج البلاد وبتأليف هذا الكتاب القيم الذي يعتبر مرجعا هاما ويرسم صورة مشرقة استطاع العلامة أن يجعله قدوة لمن جاء بعده في البحث وعدم التأثر بالآراء المألوفة المشهورة.

وهكذا يعدّ كتابه "سمط اللآلي" في طليعة قائمة تحقيقاته، وهو بدون شك تاج أعماله المحققة، ويمهد السبيل لمن جاء بعده أن

يحذو حذوه في مسالك التحقيق ويختار أسلوبه في تنقيح الأشياء وتذييل ما تحتاج إليه.

فمن مؤلفات الميمني:

١- كتابه الشهير أبو العلاء وما إليه

٢- حياة ابن رشيق وترجمة ابن شرف القيرواني

٣- النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف القيروانين

٤- فائت شعر أبي العلاء

٥- زيادات ديوان شعر المتنبي

ومن الكتب التي حققها العلامة الميمني:

٦- كتاب اللآلي للوزير أبي عبيد البكري

٧- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس

٨- ديوان زهير بن أبي سلمى

٩- ديوان حميد بن ثور الهلالي

١٠- الفاضل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

١١- كتاب الوحشيات لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي

١٢- المنقوص والممدود للفراء

١٣- التنبيهات لعلي بن حمزة

١٤- رسالة الملائكة للمعري

١٥- كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه لعرام بن الاصبغ السلمي الأعرابي

١٦- كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

١٧- أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف بن اسحاق الأصبهاني

١٨- نسب عدنان وقحطان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

١٩- مقالة "كلا" وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس

٢٠- كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي

٢١- رسالة الشيخ ابن عربي إلى الإمام الفخر الرازي

كتاب "أبو العلاء وما إليه":

يرى كل مؤلف الإفصاح عن السبب الذي دفعه إلى الكتابة حول موضوع أو شخصية، ولذا يبين العلامة الميمني هذا السبب في المقدمة. وقبل البيان رأى من الحق الثابت عليه للمؤلفين القدامى

أن ينوه بما عملوه من التأليف والتحقيق في موضوع المعري وأعماله. ووصف العلامة عملهم بأنه كثير واستغرق جميع الجوانب وأبرز الدقائق الخاصة بالمعري وحياته ولكنه لما نظر إلى الظروف وسبر الأحوال رأى الحاجة ماسة إلى تأليف كتاب يعرف بالمعري في الظروف المعاصرة، ويقوّم أعماله بالمقاييس المعترف بها في العصر الراهن ويصحح الأخطاء التي وقع فيها بعض الباحثين، يقول بهذا الصدد:

"وجدت رجلين هما معول الآخرين ومفزع الناقلين، فتوخيت كتابيهما عما أتياه من قلة التأمل والتفكير، والارتباك بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير".

ثم أبان عن قصده فقال:

"حتى تتجلى الحقائق في بردها القشيب، وتستخلص الشباب عن المشيب".[٤٤]

ومن سمو خلق الميمني أنه قدر عمل د.س. مرجليوث في مقدمة ترجمة الرسائل وعمل الدكتور طه حسين في ذكرى أبي العلاء، وأثنى عليهما في إنجاز هذا العمل الأدبي وتجشم مشقة البحث والكتابة، فهذان الرجلان في نظر العلامة يستحقان الثناء والإشادة مع أن أعمالهما عن المعري في حاجة إلى إعادة النظر والتصحيح عند العلامة.

ولم تكن عناية العلامة الميمني بالأسلوب أقل من عنايته بالتحقيق، كان يفضل السجع، ويتخير الألفاظ ويلتزم بالعربية الفصحى، ويستعين بالأمثال والأقوال المأثورة، ويأتي بتعبيرات مبتكرة، وجمل رصينة ، واستعمالات لغوية دقيقة. ينم أسلوبه عن التمكن من اللغة والخبرة بالكلمات والتراكيب.

ومع أن كتابته كانت تتسم بالسجع، وإنه كان معتنيا به، ولكن لم يكن ذلك على حساب وضوح المعنى وجلاء القصد، بل مفهوم كلامه كان دائما في غاية الوضوح والبيان، فلم يكن القارئ يشعر بصعوبة في فهم المعنى والإطلاع على القصد والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن أكتفي بواحدها حرصا على الإيجاز وخوفا من الملل:

"والقصد إذا كان خطيرا، يقتضي من الوقت فراغا، ومن دواوين الأدب تصبيرا وظهيرا، وكنت مشغول البال والضمير، ولم يكن يبدي مثلها تقرير أو تحرير، فكيف الحداء إذا بغير بعير، أو جوب الفلوات الفيح ونضوي كسير حسير، فكنت أتلكأ نظرا إلى صعوبة العمل وطول الأمد والأمل"[1].

والعلامة الميمني من العلماء المحققين الذين لا يرسلون القول على عواهنه، ولا يسوقون الكلام دون أدلته، إنهم يبتنون الفكرة بعد التأكد من الأدلة والرجوع إلى المصادر. وهذه الميزة تجلت في جميع كتابات الميمني، وخاصة في الكتابات التي تحتاج

إلى التحقيق وتتطلب التوثيق، وبفضل هذه الميزة نرى الباحثين يعترفون له بالفضل، ويطمئنون على ما وصل إليه من النتائج وقلما يجد أحدهم ما يستدرك عليه في مجال التحقيق وفهم المراد من المصادر.

ألف العلامة الميمني كتابه "أبو العلاء وما إليه" بعد أن توفرت عدة دراسات في الموضوع قام بها الكتاب والباحثون. وكان الشك قد دخل بعض العلماء في شخصية المعري وأفكاره ومعتقداته وكان بعضهم يرى أن الأصالة تنقص بعض أفكاره ونظرياته، والتدين لم يكن سليما عند الرجل بل كان شاكا في أمر الدين، ساخطا على أحكامه وتوجيهاته، في مثل هذا الموضوع الشائك، وفي هذا الجو المكفهر، تصدى العلامة الميمني للبحث عن شخصية المعري وتقويم أصالته ونظرياته، فلم يقتنع بما قاله الآخرون، بل درس الموضوع من جديد، واطلع على المصادر، فاستنطق النصوص، وأحاط بالنظريات، وصحح الأخطاء، حتى جاء كتابه منصفا للمعري، ينير الطريق للباحثين، ويقدم لهم نموذجا صالحا للتحقيق. وميزات دراسة الميمني ترجع إلى ما عرفت به شخصيته من سعة الإطلاع وقوة الذاكرة والرجوع إلى جميع المصادر المهمة والالتزام بالروية والتأني في الاستنتاج.

فنرى مثلا أن عدد المصادر يبلغ ٦٤ مصدرا في بداية الكتاب حيث يضع العلامة فهرسا للاختصارات والطبعات

المخصوصة للمصادر التي استفاد منها. وهذا لا يعني أنه اقتصر على ذلك، بل هناك مصادر أخرى استقى منها، كما صرح بذلك في الموضع نفسه، يقول:

"وأما المآخذ والموارد فهي أضعاف أضعافها".

وفي نهاية هذا الفهرس ينبه مرة أخرى على التوسع في المصادر فقال:

"إلى غيرها من كثير من المخطوطات والمطبوعات وصفتها في مظانها"[١١].

شخصية المعري كانت معروفة لدى العلماء وبمواهبه المتنوعة كان المعري موضع عناية المؤلفين، ومساهماته في مجال اللغة والأدب قد حملت الناس على الاهتمام به، ولذا نرى أصحاب المؤلفات لم يبخسوا حقه، بل فصلوا القول من النواحي العديدة، وتكلموا عن المحاسن والميزات التي توفرت في هذا الأديب الموهوب والميمني لم يترك كتابا يتكلم عن المعري إلا اطلع عليه واستفاد منه في بحثه.

والآن نأتي إلى كتابه "سمط اللآلي" الذي يعد تاج أعماله في التحقيقات. وهذا الكتاب هو شرح وتعليق على كتاب اللآلي من تأليف أبي عبيد البكري قد وضعه شرحا على كتاب "أمالي القالي" ومن هنا ناسب أن يقدم صاحب السمط ترجمة للبكري، وصفا عن

كتابه "اللآلي" ثم من السمط فبدأ بترجمة البكري ولد استقاها من المصادر المهمة المعتمدة، كما هو المعهود من بحث فريد مثله.

وصرح الميمني بأن البكري وقف على الأصول التي أملى منها أبو علي النوادر، ولذا تيسر له التنبيه على مظان الوهم والخطأ بعد المعارضة بتلك الأصول. أما هو فلم يظفر بذلك، ولذا لم يتمكن من التحقق في كثير من المغامز الباقية في الذيل أنها من القالي فعزا أكثرها إلى النساخ، واضطر لعزو البعض إليه. ثم كشف عن الذيل بأن فيه ثلاثة من الأغلاط القبيحة، وأربعة وثلاثين من الأوهام التي لا بد للإنسان من مثلها، ودلل عليها في الطرر.

ومما يلاحظ أن الميمني إذا تكلم على القالي والبكري كان تعاطفه مع القالي أكثر من تعاطفه مع البكري، لمسنا ذلك هنا حينما تكلم على التنبيه، وكذلك وجدناه في مواضع أخرى. ومما أخذ هنا على البكري.

١. فواته بعض أوهام القالي.

٢. تشديد البكري على القالي حينما يستدرك عليه.

٣. تطاوله على القالي في أمور ليس فيها كبير فائدة. وهذا يبلغ أكثر من نصف التنبيهات.

٤. وقوعه في دعاو فارغة وأقوال واهية أكثر من القالي.

٥. تكراره لمواد اللآلي في التنبيه، ولعل ذلك بغرض تقديمه إلى المعتمد.

وأثناء ذكر هذه المآخذ نوه الميمني بموقفه بأنه – مع الاطلاع على أخطاء البكري – لم يندد بها خلاف ما فعله البكري مع القالي.

دل الميمني عمل البكري في تأليف اللآلي فقال:

"إن البكري كان يقيد كل ما يطلع عليه من الفوائد والأبيات التي لم يعرف عنها خبرا أو أثرا، وأخلى لها بياضا كما هو عادة عامة المؤلفين"[١٧].

ثم صرح الميمني بأن ما تركه البكري لم يكن قليلا، وإنه قد حاول سد الثلمة ورأب الصدع، ثم اعترف الميمني بأن بعض المواضع قد بقيت دون حل. ولكن ليس ذلك بتقصير منه، فإنه بذل الجهد، وطرح الكسل، وأبدى أمله بأن الإتمام يوفق له الله من يأتي بعده ممن هو أعرف منه. ثم وصف تنبيهات الكبير بأنها قليلة الجدوى، والمسؤولية فيها على أشياخ القالي وعلى شيوخ أشياخه. ثم إن الأوهام التي نبه عليها البكري قد لا تكون من الوهم، وإنما هي رواية أخرى لم تحظ بارتضاء البكري فجعلها من المآخذ على القالي.

ومما أخذ الميمني على البكري أنه وقع بنفسه في الأخطاء التي شنع لها على القالي، وذكر لذلك عدة أمثلة، وأشار إلى أغلاطه

التي عدّها في غاية الاستبشاع وصرح بأنه نبه عليها لكن نظريا النصح في خدمة العلم، والكشف عن الحقائق، والإبانة عن جليات الأمور التي وضع فيها الخلاف لطول الأمد.

وبهذا العرض الموجز يمكن للمطلعين على حياة الميمني أن يعرفوا ولوعه بالتراث العربي القديم، وحرصه على اقتناء المخطوطات التي تحتفظ بها مكتبات الشرق والغرب، وخاصة في البلاد العربية والإسلامية، وأنه بهذا الصدد قد قام بأسفار وجولات لهذه البلاد حتى يتمكن من الحصول على كنوز اللغة والأدب ونفائس المخطوطات ونوادرها. وكان التوفيق حليفه في هذه الجولات، فقد حصل على عدد كبير من النفائس، ونجح في تصحيح عديد منها والتعليق عليها ثم نشرها بين المحبين للغة العربية والمولعين بآدابها.

إن الأعمال التي نشرت للعلامة ليست قليلة، وهي كلها شدت انتباه الناس، وحظيت منهم بالتقدير والإعجاب لما اتسمت به من الأصالة والاعتبار، والجدية والابتكار. ولكن هناك أعمال عديدة ورد ذكرها في كتابات الميمني، ولكنها لم تطبع، ولم يعرف عنها أحد شيئا. إن الحياة التي عاشها العلامة، والأيام التي قضاها في عليكره أو لاهور معروفة لدى الجميع لم تخف منها خافية، وكذلك لم يتعرض لأحوال طارئة أو نقلة اضطرارية تسبب ضياع بعض أعماله، ومع ذلك لم يصل إلينا خبر عن الأعمال التي أشرنا إليها.

لما ذكرها لقد ورد مرارا وتكرارا، ولذلك لا يحسب لأحد أنه لم يكملها، إنه أنجز هذه الأعمال دون شك، فهل ضاعت عنه، أو تركها لدى ناشر لم يتمكن من طبعها والاحتفاظ بها لأسباب قاهرة؟ احتمالات لا نستطيع الإجابة عليها الآن لأن أحدا من أخلاف العلامة أيضا لم يستطع الإجابة على هذا السؤال، ولم يعرف مصير الأعمال المنجزة التي لم يعرف عنها أحد شيئا. وفي مثل هذا الوضع يتمنى الإنسان لو هيأ الله تعالى لشخصية عبقرية مثل الميمني فردا أو مؤسسة تولت عنه القيام بنشر أعماله والاحتفاظ بها قبل النشر، لكان الوضع أحسن مما هو عليه الآن، ولكانت استفادتنا بعلوم الميمني أكبر.

ونذكر فيما يلي الأعمال التي لا توجد لدى أحد مع أنها مذكورة في بعض كتابات الميمني:

١ـ معجم الأمثال السائرة والأيام الدائرة والبنين والبنات والآباء والأمهات والذوين والذوات. (ضاعت بطاقات هذا الكتاب في حياة العلامة)

٢ـ نظرة في النجوم من اللزوم (بقي هذا الكتاب في المسودة جمع فيه العلامة أكثر أفكار المعري تحت عناوين المضامين بحيث يمكن الإنسان أن يرى جل شعره في معنى من المعاني في موضع واحد).

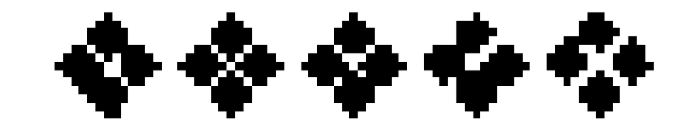
٣. نظرة إلى ديوان شعري النعمان بن بشير وبكر الدلفي

٤. ديوان توبة بن الحمير وليلى الأخيلية

٥. ديوان كعب بن زهير (برواية الأحول كان دفعه للنشر إلى القسم الأدبي بدار الكتب في القاهرة، ولم ينشر بعد)

٦. المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي

٧. حاشية ابن بري وابن ظفر الصقلي على درة الغواص.



الهوامش:

[1] - عبد العزيز الميمني: العاجز عبد العزيز الميمني، مجلة المجمع العلمي الهندي، جامعة عليكره الإسلامية، العدد ١ و٢، المجلد الحادي عشر، ١٩٨٦م، ص: ٢٩٨

[2] - عبد العزيز الميمني: الأشعار، مجلة المجمع، العدد: ١ و ٢ المجلد الحادي عشر، ص: ٤٢٧

[3] - شاكر الفحام: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مجلة المجمع، العدد: ١ و ٢، المجلد العاشر، ١٩٨٥م، ص: ٥٢

[4] - عمر رضا كحالة: المستدرك على معجم المؤلفين: مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ص: ٣٨٢

[5] - محمد محمود ميمن: جوانب من حياة العلامة الميمني، مجلة المجمع، العدد: ١ و٢، المجلد العاشر، ص: ٩٨

[6] - محمد سليمان أشرف: عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري وأسلوبه في كتابة اللغة العربية، علامة عبد العزيز ميمني: حياته وخدماته، قسم اللغة العربية، جامعة عليكره الإسلامية، ص: ١

[7] - السيد عابد علي: الشيخ عبد العزيز الميمن، مجلة المجمع، المجلد الحادي عشر، ص: ٣٦٩

[8] - عبد العزيز الميمني: المعجز، مجلة المجمع، ص: ٢٩٩ - ٣٠٠

[9] - محمد خير رمضان يوسف: تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ٣٠٢

[10] - أحمد العلاونة: ذيل الأعلام (قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار المنارة، جدة، ط: ١، ١٩٩٨م، ص: ١٢١

[11] - محمد محمود ميمن: جوانب، مجلة المجمع، ص ١٠٩ - ١١٠

[12] - عبد العزيز الميمني: ماذا رأيت بخزائن البلاد الإسلامية، مجلة المجمع، المجلد العاشر، العدد: ١ و ٢، ص ٢٨٣

[13] - الدكتور أحمد أمين: مقدمة الطرائف الأدبية للميمني: دار الكتب العلمية، لبنان، ط: ١٩٣٧ن، ص: ج

[14] - العلامة عبد العزيز الميمني: أبو العلاء وما إليه، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط ١، ١٣٤٤هـ، ص: ٤

[15] - أيضا، ص: ٣

[16] - أيضا، ص: ١٠

[17] - العلامة عبد العزيز الميمني: سمط اللآلي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ط ١، ١٩٣٦م، ص: ص

مساهمة علماء أعظم كره (Azamgarh) في الدراسات الإسلامية

- أورنك زيب الأعظمي*

مدينة أعظم كره مدينة شهيرة للغاية فهي مولد عباقرة العلماء ومحل جهابذة الشعراء فالعلامة محمد فاروق الشريا كوتي والعلامة شبلي النعماني والشيخ حميد الدين الفراهي والقاضي محمد أطهر المباركفوري والمحدث حبيب الرحمن الأعظمي والأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي كلهم شخصيات بارزة لا تزال تخلد أسمائهم على صفحات التاريخ الإسلامي فقد صدق الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي قائلا "لا تجد ثلاثة علماء إلا وثالثهم الأعظمي". إن هذه الشخصيات خدمت الإسلام والمسلمين خدمة جليلة فأود أن ألقي بعض الأضواء على خدماتهم الكتابية منذ فجر تاريخها إلى يومنا هذا ولنبدأ بذكر تاريخها الموجز وبالله التوفيق.

* - باحث، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

التاريخ الموجز لمدينة أعظم كره

كانت مدينة أعظم كره سلسلة غابات ممتدة من وارانسي (Varanasi) إلى أيودهيا(Ayodhia) يسكنها فقراء ونساكون تركوا الدنيا لعبادة إلههم ثم بعد مدة عمرها قبائل عديدة أشهرها "كوسي" (Ghosi) و"جيرو" (Chiru) سيطر عليه المسلمون في القرن السادس الهجري بأيدي السلطان شهاب الدين الغوري وعبده قطب الدين أيبك. ولما جاء القرن الثامن الهجري عمر السلطان فيروز شاه تغلق "جونبور" (Jaunpur) ومن ثم صارت هذه المنطقة بقعة نور من العلوم والفنون وصدق قائل "إن مملكة الشرق هي شيرازنا" وأعظم كره جزء من هذه المنطقة.

بدأ يزورها قوافل العلم والفن في عصر تغلق نفسه فنزل بها الشيخ خليل الله الفاروقي والمخدوم ظهير الدين الصديقي وشيوخ وقضاة تشريا كوت (Chireyyakot) كما جاءها علماء وفضلاء في عصر المملكة الشرقية لا سيما إبراهيم شاه الشرقي الذي سبب نزول وقيام عديد من العلماء الأفاضل ثم استمرت القوافل في زيارتها لهذه المدينة ونزولها بها.

ثم تعمير هذه البلدة في ١٦٦٥م بيدي الحاكم أعظم خان بن الحاكم مان سنغ (Man Singh) ثم بعد مدة سيطر عليها نوابو أوده (Avadh) ثم حكم عليها تسعة أعضاء من الحكومة ثم تمكن منها

للشركة الشرقية الهندية ثم بعد ذلك استقلت المدينة في ١٨٣٢م وفي زمننا جاء تقسيم لخر كسرها في مدينتين إحداهما أعظم كره والأخرى مدينة مئو (Mau) ولكن لا نرعى القسمة ولنا مثال واضح في الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ سعيد الرحمن الأعظمي فإنهما من مدينة مئو ولكلهما يكتبان "الأعظمي".

مساهمتهم في الدراسات الإسلامية

حكم المسلمون على هذه المدينة أكثر من خمسمائة وخمسة وعشرين عاما فهذه هي المدة التي زار فيها الشيوخ والعلماء الذين جعلوها سكنا لهم ووطنا مع أن هذه السلسلة المباركة لم تنقطع بل وصلها لخلافهم حتى الآن فنود أن نذكر خدماتهم الجليلة بإيجاز مع ذكر أصل من يرزق الحياة.

تبتدئ هذه السلسلة المباركة من الشيخ عبد الله يوسف التشرياكوتي (م ٨٠٤هـ) و"تشرياكوت" قرية شهيرة جداً في العلم والمعرفة فالعلامة فاروق التشرياكوتي كان من نفس القرية وهو أستاذ الشيخ العلامة شبلي النعماني. ألف هذا الشيخ كتابا مفيدا في المنظوم بالفارسية وهو "التحفة النصائح" يشتمل هذا الكتاب على ذكر الواجبات والسنن والنظم ليسهل للتحفظ من النثر.

ويليه مفسر ولقبه شهير من نفس القرية وهو محمد عباس التشرياكوتي (م ٩٧٢هـ) إنه كان مفسرا كبيرا بجانب براعته في

الفرائض والفقه فقام بتأليف كتب عديدة في المواضيع العديدة منها "تفسير محمدي" في تفسير القرآن" و"الكوكب الدري" في الفرائض و"حاشية تاريخ" في أصول الفقه. كان ماهرا بالعربية.

ثم يأتي شيخ ضحّى نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين فلم يمهل للتأليف إلا رسالة تسمى "تنبير وشكر". تحتوي الرسالة على سير أهل عشيرته وأحكام ومناسك الحج. هو الشيخ أبو الخير البيروي (Bhairwi) (م١٠٥٩هـ).

حركة الاستقلال بالقرآن عن الأحاديث حركة أثرت في أذهان عديد من العلماء الأفاضل فلم يفلت منها الأعظميون فالذي حمل لواءها في هذه المدينة هو الأستاذ محمد أسلم الجيراجبوري (Jairajpuri) من علماء القرن الثالث عشر الهجري. إنه بذل كل جهده في تأييد هذه الفكرة الباطلة. فقام بتأليف عديد من الكتب العلمية من هذا النوع ومنها "تاريخ القرآن" و"الوراثة في الإسلام" و"أركان الإسلام" و"عقائد الإسلام" و"تعليمات قرآن" (تعاليم القرآن) و"تاريخ الأمت" في سبعة مجلدات. إن هذا الكتاب موجز للغاية تم إعداده لطلاب الدراسات الإسلامية في البكالوريوس.

وقرية "كوسي" مثل "تشريا كوت" فهي أيضا أنجبت علماء أفاضل في مختلف المجالات، يأتي ذكرهم حسب المواليد، فالشيخ غلام نقشبند الكوسوي من العلماء الذين خلفوا مؤلفات مهمة جمة لا

سيما في القرآن وعلومه فهو كان بارعا فيها ومن مؤلفاته "أنوار القرآن" وهو تفسير لربع القرآن و"الفرقان الأنوار" تفسير لسورة الأعراف وكذا تفاسير سور طه ومحمد ويوسف والرحمن والكوثر والإخلاص. إنه كتب تفاسير آيات قرآنية مهمة من أمثال "الله نور السموت... "و" إنا عرضنا الأمانة..."و" أفحسبتم..."و" لا تقولن لشيء... "و" كلوا واشربوا... "وكذلك له"لامية عرشية" في وحدة الوجود.

ثم يأتي في هذا الفهرست الشيخ مجتبى التشرياكوتي من قبيلة شهيرة يقال لأفرادها "جبلسي" إنه وجه مجرى تأليفه إلى الرد على ما يقول المفسدون فأول كتاب صدر من قلمه الساحر هو "مسلول" رد فيه الشيخ على الاعتراضات التي أوردها أصحاب الإثنا عشرية. ثم ألف "ميراث نامه" (رسالة المواريث) وختم هذه السلسة بكتاب "تسفه تعليقات".

الآن نعرفك تلك القرية أخرى من هذه المدينة وهي "سوغربور"(Sugarpur) وفقها الله تعالى إنجاب شخصيات بارزة منها الشيخ عبد القادر السوغر بوري (م ١٤٠٤هـ) الذي كان متضلعا من العربية. إنه صنف كتبا عديدة بها. نذكر بعضا منها على سبيل المثال فهي "المحاكمة بين العلوم الشرقية والغربية "و" الكيمياء الحديثة" و"كتاب العالم والمتعلم "و" الدرر الفوائد في غرر العقائد "و" رسالة منظومة في علم الفرائض".

وفي نفس القرن ولد عالم آخر كبير صنف زهاء مائة كتاب في مختلف العلوم والفنون وهو أحمد علي الشريا كوتي (م ١٢٧٢ هـ) من القرية الشهيرة "الشريا كوت" من أهم كتبه في الدراسات الإسلامية "فوائد المعتقد" و"إثبات التقليد" و"فرائض أحمدية".

ومن نفس القرية برز رجل في الفلسفة والحكمة فسمّي بـ "أحمد مكرم العباسي الشريا كوتي "له مؤلفات في هذا الموضوع منها "حكمة بالغة" في ثلاثة مجلدات" و "الأخلاق".

والقاضي علي عباس الشريا كوتي (م ١٣٠٢هـ)أيضاً من هذه القرية. إنه حذا حذو أسلافه لخدم الإسلام عن جهة الدعوة والتبليغ فألف رسائل عديدة مهمة في هذا الشأن. نذكر بعضاً منها على سبيل المثال. (١) نبراس الظلمة (٢) ورقية النجاة (٣) ووسواس الخناس (٤) والهلالية. كان مقربا للدولة سكندر بيغم ونواب حيدرآباد.

نرجع إلى "ميرة" (Meera) إحدى قرى هذه المدينة. ولد فيها رجل اسمه شكر الله (م ١٣١٥هـ). كان أستاذاً للعربية والفارسية في كلية بريلي ومولعا بكتابة مؤلفات تعارض السلفية وهي "مناظرة الحنفي بالسلفي "و"هداية الشفيق "و"الرسالة العاجلة في إزالة الإزالة".

وقرية "أملو" (Amilo) قرية صغيرة في أعظم كره. إنها أيضاً أسهمت في هذا الباب. فقد أنجبت شخصية شهيرة تسمى "عبد

الحق الأملوي" أو "محمد الحق" أو "أبو عبدالحق" إنه كان فقيها شهيرا فترجم "تلبيس إبليس" إلى الأردوية ونالت ترجمته صيتا ذائعا في الهند. أفتى كثيرا في مختلف الشؤون لفتاواه في عديد المجلدات وتدل على براعته في هذا المجال.

وعناية رسول العباسي التشرياكوتي (م ١٣٢٠هـ) من عشيرة "عباس". برع في القرآن والكلام والفقه. إنه صنف كتبا مهمة عديدة أهمها وأفضلها "قواعد اللغة العربية". أما كتبه عن الدراسات الإسلامية فهي هكذا "بشرى" في مجلدين و"إعجاز القرآن" و"مسائل رضاعة" و"علم الكلام" و"أمهات المؤمنين".

وولد بعده بعامين داعية كبير في قرية "وليد بور" (Walidpur) اسمه "شاه محمد تكمل الوليد بوري" (م ١٣٢٣هـ). إنه ركز جهوده على الدعوة والتبليغ وصنف في النظم والنثر معا وهي "صراط التكميل" بالعربية و"جنة الفرائض" و"سر الغيب" وغيرها مما لا حاجة إلى ذكره.

ومديرية "مئو" التي صارت اليوم مدينة مستقلة قد أسهمت كثيرا في هذا المجال وسيأتي ذكر شخصياتها الأخرى في مواضعها وهنا نذكر الشيخ عبد القادر المئوي (م ١٣٣١هـ) إنه وُفِّقَ الفرصة لخدمة الإسلام وعلمي المناظرة والكلام فقام بتأليف رسائل مهمة منها "حل المغلقات في بيان طلقات" و"تفريح الجنان بأحكام القيام برمضان" و"عمدة الكلام في الرد على درة النظام" و"الروضة

"الناظرة في علم المناظرة" و"تاريخ عمر بن عبد العزيز". كتبه جامعة للمعلومات حافلة بها.

والعلامة شبلي النعماني وما أدراك من شبلي النعماني، عالم عديم النظير في العالم الإسلامي. خدم الإسلام من كلتا الجهتين، العلمية والعملية. إنه أفحم المستشرقين وأحيى الإسلام في الهند. له وجهة نظر في المعارف لا تزال تبقى على صفحات التاريخ الهندي والإسلامي. ألف كتبا مهمة جدا في الدراسات الإسلامية، نذكر طرفا منها على سبيل المثال لا الحصر.

(١) سيرة النبي (٢) الفاروق (٣) المأمون (٤) الغزالي (٥) الإنتقاد على التمدن الإسلامي (٦) سيرة النعمان (٧) الكلام (٨) علم الكلام (٩)تاريخ الإسلام (١٠) رحلة الروم ومصر والشام وغيرها من الكتب القيمة التي يطول بذكرها المقال.

نرجع إلى "التشرياكوت" التي لا يستغني عن ذكرها أي كاتب عن هذا الشأن. نجد هنا عالما كبيرا يقال له "محمد أعظم التشرياكوتي" (م ١٣٣٢هـ). إنه أثر مؤلفات عديدة في الأدب العربية والنجوم والمعاجم ولكن نصرف عنها النظر ونذكر مجرد الكتب التي تتعلق بالدراسات الإسلامية فالأهم منها كتابان أحدهما "رسالة في الميراث" والأخر "كتاب الحيوان" والكتاب الأخر وحيد من نوعه في الهند.

ومديرية "مئو" كما يبدو من أصحابها وأهاليها تتمتع بأغلبية علماء أهل الحديث فقد رسا فيها أصل السلفية ومما إلى النجم إلى المدينة المنورة والحافظ عبد الله المئوي (م١٣٣٧هـ) أحد هؤلاء العلماء الذين خدموا الأحاديث النبوية خدمة بارزة بجانب براعتهم في العلوم الأخرى فالكتب التي خلفها الحافظ المئوي هي "إبراء أهل الحديث والقرآن" و"مقدمة صحيح مسلم" بالعربية و"تسهيل الفرائض" و"المنطق" و"رسالة تحقيق تراويح" وغيرها من الكتب التي لا تتعلق بهذا المجال.

وسلامة الله الأعظمي (م١٣٣٨هـ) أيضا من أصحاب هذه الفكرة. إنه قدم مؤلفات جيدة إلى هذه الوجهة. ترجم "بلوغ المرام" إلى الأردوية ومن أهم كتبه "المكلم الملة الحقة في تنسيق قاطع اللحية" و"التحفة المنصفية والهدية الأحمدية في أدلة سماع الموتى وحياتهم السرمدية".

قرية "بكرا" (Bakhra) تقع على قرب عشرة كلومترات من قريتي "مونديار" (Mundiar) إنها أيضا أنجبت شخصية كبيرة في هذا المجال وهي "الشيخ عبد الرحمن البكراوي" (م١٣٤٠هـ). إنه من المتخرجين في "مدرسة الإصلاح". له مؤلفات عديدة أهمها "رحمة المتعلمين" و"متشابهات قرآنية".

وصرنا من أنوار الحق المئوي الأعظمي (م١٣٤١هـ) صاحب "إدراك الفريضة" بالعربية الذي أثنى عليه الشيخ أنور شاه

الكشميري، فالتفت إلى رسول بور (Rasulpur) وهي قرية تقع على قرب من الجامعة الإسلامية "جامعة الفلاح". ولد فيها عالم كبير يُسمَّى "عبد العليم الرسول بوري "(م١٣٤١هـ). إنه خدم القرآن والحديث خدمة جليلة بجانب خدمته البارزة في الفقه فمؤلفاته في الدراسات الإسلامية هي "أساس التوحيد" و"التبصرة في تحقيق الأشربة" و"الخطب المنبرية من الآيات القرآنية" و"أصول الفقه "و" الفريدة الوصفية في الحكمة الإلهية "و" رواة البخاري المجروحون" وغيرها من الكتب التي لا تتعلق بهذا المجال.

وعبد الغفار المئوي (م١٣٤١هـ) أيضا من علماء أهل الحديث. إنه صنف مؤلفات عديدة عن التعاليم الإسلامية والشؤون الدينية فهو داع يدعو الناس إلى النور بقلمه الساحر. من مؤلفاته الشهيرة في هذا المجال "طيب الأقاصي في مسائل الأضاحي" و"منسك البررة في مناسك الحج والعمرة" و"كشف الحقيقة في مسائل العقيقة " و"كشف المكنون في الخروج من الطاعون" و"غرائب البيان في مناقب النعمان".

و"مباركبور" (Mubarakpur) قصبة تقع على قرب من "مئو" وهي أيضا من القصبات التي أسعدها الله تعالى بمولد الشخصيات الإسلامية التي أثرت محامد في هذا المجال والشيخ عبد السلام المباركفوري (م١٣٤٢هـ) أحد منهم فهو أيضا خدم الحديث الشريف. ومن أبرز خدماته في هذا الشأن "سيرة البخاري"

و"تاريخ المنزول وأهله". والكتاب الأول شهير جداً في دائرة الدراسات الإسلامية.

ومن أشهر قرى مدينة أعظم كره في هذا المجال "كوفا غنج"(Kopaganj) التي ولد فيها علماء أفاضل لقيت بعضاً منهم. هم خدموا الإسلام بفعاليتهم التدريسية. سراج الدين الكوفا غنجي (م١٣٤٧هـ) أحد منهم. كان بارعاً في الفلسفة والحكمة. له كتاب شهير في المنطق يُسمّى "سراج المنطق".

بجانب خدمات علماء العقيدة الحقة نجد علماء العقيدة الباطلة خادمين أيضاً فالشيخ أمجد علي الغوسوي من علماء أهل البدعة والعقيدة الباطلة. إنه توفي في ١٩٤٨م. له كتاب أشهر من قفا نبك في دائرة أهل البدعة والضلالة. إسمه "بهار شريعت". كتبه على منوال "بهشتي زيور" للتهانوي. ذكر فيه عقائد أهل البدعة. ثم تأليف الكتاب في ١٧ مجلداً.

والعلامة حميد الدين الفراهي وما أدراك من هو؟ آية في العلم والعمل. ضحّى نفسه لخدمة القرآن والحديث واللغة العربية وله أكثر من ٧٠ كتاباً في مختلف المجالات العلمية. توفي في ١٣٤٩هـ اعترف ببراعته العلامة تقي الدين الهلالي والعلامة رشيد رضا. نذكر طرفاً من كتبه فيما يلي:

- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

- الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح
- إمعان في أقسام القرآن
- حكمة القرآن
- حجج القرآن
- كتاب النحو والصرف
- أمثال آصف الحكيم
- القائد إلى عيون العقائد
- دلائل النظام
- التكميل في أصول التأويل
- أساليب القرآن
- مفردات القرآن
- في ملكوت الله
- حواشيه على القرآن الكريم

وبالرغم من الشيخ خدا بخش المهراج غنجي (Maharajganj) الذي صنف "رفع اليدين على الصدر" نذكر محمد علي المئوي (م١٣٥٤هـ) الذي قام بتأليف كتب مهمة في مختلف المجالات العلمية. ومن كتبه في الدراسات الإسلامية "زينة الجيش بخلافة

القريش" و"البحث القوي عن سيرة النبي" و"الجواب الأصوب عن مسئلة الخطبة بغير لسان العرب" و"إقامة الدلائل على سماع علقمة عن أبيه وائل" و"التحقيق الحسن في إثبات القميص في الكفن".

والشيخ عبد الرحمن المحدث المباركفوري (م ١٣٥٢هـ) محدث كبير له صيت ذائع بين دوائر العلماء في هذا الشأن. تلقى عليه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي علم الحديث. إنه خدم الحديث خير خدمة. له أكثر من ١٥ كتابا. ومن مؤلفاته في الدراسات الإسلامية "تحفة الأحوذي" شرح للترمذي و"أبكار المنن في تنقيد آثار السنن" و"خير الماعون في منع الفرار عن الطاعون" و"كتاب الجنائز" و"تنوير الأبصار".

وكذلك نجد لدى الشيخ عبد الرحمن آزاد المئوي (م ١٣٥٧هـ)، إنه خدم القرآن والحديث جيدا. له مؤلفات في هذا الباب ومنها "تفسير القرآن" لم يكمل و"طبقات ابن سعد" ترجمة أردية ناقصة و"بحر الفرائض".

والشيخ أحمد حسين الرسول بوري (م١٣٥٩هـ) أيضا من العلماء الذين تركوا آثارا في مجال الدعوة والتبليغ، له مؤلفات مهمة عن هذا الباب منها "الحصن الميراث في هدية الأحياء إلى الأموات" ترجمة أردوية، و"سبيل الآخرة" و"تجهيز الأموات".

والشيخ أبو الحسن المئوي (م ١٣٦١هـ) من علماء الفقه والهندسة، له مؤلفات عديدة في غيرهما من العلوم ولكن نصرف

عنها النظر ونذكر ما يتعلق بالدراسات الإسلامية وهي "الفرائض" و"الجواب المحمود".

و"حسين آباد" (Husainabad) قرية شهيرة في المدينة. أنعم الله تعالى عليها بوجود شخصيات إسلامية بارزة والشيخ عبد الصمد الحسين آبادي (م ١٣٦٧هـ) أحد منهم فهو برع في علوم الحديث والسير براعة لا مثيل لها في المدينة ومن حسن الحظ أنه صنف في هذا المجال أيضا فالآثار التي تركها هي "شرف حديث" و"الفتوحات الربانية" و"شرح سنن ابن ماجة" (لم يكمل) و"البيان لما تجب معرفته على أهل الإيمان" وغيرها من الكتب التي لا تتعلق بهذا المجال.

والشيخ عبد السلام الندوي (م ١٣٧٦هـ) شخصية لا تحتاج إلى التعريف فهو كان متصلا بمجمع شبلي العلمي بأعظم كره وله كتب مهمة نذكر بعضا منها حسب العلاقة بالموضوع:

(١) شعر الهند (٢) تاريخ أخلاق إسلامي

(٣) أسوة صحابة (٤) أسوة صحابيات

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز (٦) حكماء إسلام

(٧) إقبال كامل (٨) إمام رازي

(٩) انقلاب الأمم (ترجمة أردية)

(١٠) تاريخ فقه إسلامي (ترجمة أردية)

كان له ذوق سليم بالأردية.

والشيخ محمد مبين الشرياكوتي (م ١٣٧٦هـ) والشيخ محمد يسين الشرياكوتي شخصيتان شهيرتان ولا حاجة إلى ذكر قريتهما فهي أشهر من نار على علم. مما أثر الأول من المؤلفات هي "جواهر سخن" (جوهر الحديث) في سبعة مجلدات و "فلسفه سياست" و"فلسفة عمر" و"القانون مسعودي" ترجمة أردية، ولما كتب الشيخ الأخر فهي "خلافت راشدة" وهو كان رئيس تحرير مجلة "سبحان" الصادرة عن غوركبور (Gorakhpur) لمدة طويلة.

وتعال نعرّف لك قرية "مصطفى أباد" (Mustafabad) في بلادنا الهندية. يسمي المسلمون مدنهم وقراهم بأسماء من سلف في الإسلام من أعلام وشخصيات شهيرة فالله أباد (Allahabad) ومحمد أباد (Muhammadabad) وخدادا بور (Khudadapur) وفرخ أباد (Farrukhabad) أمثلة لذلك ومصطفى أباد إحداها، منها فهي أيضا تشرفت بمولد شخصية إسلامية وصل إلينا الخبر عنها وهي شريف المصطفى أبادي (م ١٣٧٢هـ) إنه من الأعلام الذين تضلعوا من العربية فاختاروها لتحدثهم وكتابتهم فالكتب التي صنفها كلها بهذه اللغة وهي "تسهيل الكلام في تأييد شريعة خير الأنام" و" جواهر الحكم في شرح السلم" شرح لكتاب شهير يسمى "السلم" و"رموز

حكمت" و"سوال وجواب نور الأنوار" شرح لما أشكل من عقائد "نور الأنوار". وله كتب أخرى بالعربية ولكنها تتعلق بغيرها من المجالات العلمية.

و"كوريا بور" (Kooriapur) مثل "منو" و"مباركبور" في توليد الشخصيات التي لها علاقة وطيدة مع علوم الحديث الشريف. إنها أنجبت عددا ملموسا من العلماء والمحدثين وعلي أحمد الكوريابوري (م١٣٧٩هـ) أحد منهم. إنه كتب عن الحديث والتصوف كما يبدو من مؤلفاته وهي "شرح كتاب الإيمان لصحيح مسلم" و"قانون وراثت" (الفرائض) و"رسالة التوسل".

وقصبة "فولبور" (Phulpur) وتدري ما هي؟ قصبة المعرفة والحب في الله. ولد فيها رجل عارف بالله حتى أن هذه المدينة صارت معروفة باسم هذا الرجل الرباني. إنه خص نفسه لإذاعة حب الله في الناس ومعرفته فيهم فإن قلت "الفولبوري" يعرف الناس فورا أن المراد بهذا الشاه عبد الغني الفولبوري (م ١٣٨٣هـ). إنه صنف كتبا قيمة في هذا المجال بجانب أماليه الجليلة في هذا الشأن فمؤلفاته المتعلقة بهذا الباب هي "أصول الوصول" و"معيت إلهية" و"صراط مستقيم" و"براهين قاطعة" و"معرفت إلهية" و"شراب كي حرمت كا ثبوت قرآن سي" (الدلائل القرآنية على تحريم الخمر) وغيرها من الكتب التي لا علاقة لها بها.

كما ذكرت أن قرية "أملو" تشرفت بوجود شخصيات علمية أثرت مؤلفات عديدة مهمة في الدراسات الإسلامية والشيخ أنور أحمد الأملوي (م١٣٨٣هـ) أحد هؤلاء. إنه ترك كتابين أولهما رد على كتاب الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والآخر يتعلق بالتاريخ فالأول "مصابيح بجواب ركعات تراويح" والثاني "أهل حديث أور سياست".

وقرية "فتحبور (Fathpur) أيضا مثل "أملو" فهي أنجبت شخصيات علمية والشاه وصي الله الفتحبوري (م١٣٨٧هـ) أحد منها. إنه ألف كتبا مهمة في مختلف المجالات العلمية فالكتب التي تتعلق بالدراسات الإسلامية هي "وصية الأخلاق" و"وصية الإحسان" و"التذكير بالقرآن" و"علم كي ضرورت" (الحاجة إلى العلم) و"توقير العلماء" و"جنت" و"تلاوة القرآن" و"تعليم وتربيت أولاد" و"غلستان معرفت" (حديقة المعرفة).

وهناك شخصيات أخرى من هذه القرى المذكورة نصرف عنها النظر مخافة الإطناب والتطويل فأختم هذا الفصل بذكر خمسة منهم وهي الشيخ نجم الدين الإصلاحي والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ القاضي أطهر المباركفوري والشيخ أمين أحسن الإصلاحي والشيخ صدر الدين الإصلاحي رحمهم الله تعالى.

فالشيخ نجم الدين الإصلاحي (م ١٩٩٤م) من أوائل الإصلاحيين الذين تشرفوا بالتلمذ على الشيخ العلامة عبد الحميد

الفراهي. إنه ركز جهوده على الحديث والقرآن واللغة الفارسية فمؤلفاته المتعلقة بالدراسات الإسلامية هي "تاريخ السنن والآثار" و"سيرة الداعية الكبير الشيخ أمين الأكبر آبادي" و"مكتوبات شيخ الإسلام" و"المختارات من الطبري" الذي لم يُوفّق بإكماله.

والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي (م١٩٩٢م) شهير في البلاد العربية في معرفته للحديث الشريف فهو جمع وحقق الأحاديث ومجموعاتها. له كتب وتحقيقات مهمة منها "مصنف عبد الرزاق" و"مسند الحميدي".

والشيخ القاضي أطهر المباركفوري (م ١٩٩٦م) أيضا معروف في العالم الإسلامي في معرفته للتاريخ الإسلامي فهو صنف كتبا لا يوجد لها مثال في أي بلد من البلاد العربية والإسلامية فالمؤلفات المتعلقة بهذا الشأن هي "عرب وهند عهد رسالت مين" (العرب والهند في عهد الرسالة) و"خلافة راشده اور هندوستان" (الخلافة الراشدة والهند) و"خلافت عباسية أور هندوستان" (الخلافة العباسية والهند) و"خلافت بنوأمية اور هندوستان" (خلافة بني أمية والهند) و"ديار يورب مين إسلام" (الإسلام في أوربا) و"مآثر ومعارف" و"آثار وأخبار" و"تدوين سير ومغازي" و"خير القرون كي درسگاهين" (مدارس خير القرون) و"إفادات حسن بصري" و "معرفة القرآن" و"رجال السند والهند" و"العقد الثمين" و"جواهر الأصول" و"التاريخ أسماء الثقات" وغيرها مما يطول بذكرها المقال.

والشيخ أمين أحسن الإصلاحي (م١٩٩٧م) زميل الشيخ نجم الدين الإصلاحي ويعرف بتفسيره "تدبر القرآن" في دوائر العلم الأردية والإنجليزية. إنه ركز كافة جهوده على علوم القرآن والحديث فجاء بكتب قيمة جدا ونذكر منها "تفسير تدبر القرآن" في تسعة مجلدات و"مبادي تدبر قرآن " و"مبادي تدبر حديث" و"حقيقت توحيد" وحقيقت شرك" و"حقيقت تقوى" و"حقيقت نماز " (حقيقة الصلاة) و"فهم القرآن" و"برده قرآن مين" (مفهوم الحجاب في القرآن) و"فلسفة كي مسائل قرآن كي روشني مين" (قضايا الفلسفة في ضوء القرآن) وغيرها من الكتب والتراجم التي لا حاجة إلى ذكرها.

والشيخ صدر الدين الإصلاحي (م١٩٩٨م) أيضا من علماء مدرسة الإصلاح وأركان الجماعة الإسلامية في الهند. إنه كان بارعا في القرآن والحديث. له مؤلفات قيمة عن الدراسات الإسلامية ومنها"دين كا قرآني تصور" (التصور القرآني للدين) و"حقيقت نفاق" (حقيقة النفاق) و"قرآن كا تعارف" (ما هو القرآن؟) و"أساس دين كي تعمير" (بناء أساس الدين) و"فريضه إقامت دين".

مساهمة الأحياء من علماء أعظم كره في هذا المجال:

وكما قلت أن علماء أعظم كره قد أحيوا ما ورثه آبائهم من تقليد كريم، خدمة الإسلام والمسلمين عن طريق تأليف الرسائل

والكتب فمن حذا حذو آبائه أولهم الشيخ وحيد الدين خان الذي ينتمي إلى قرية "بدهيريا" (Badheria)، وهذه هي القرية التي تشرف بمولد العلامة محمد إقبال سهيل صاحب "ما هو الربا" فالشيخ العلامة وحيد الدين خان قد خدم الإسلام ويخدم حتى الآن عن طريق قلمه الفنان المكثر. فمن أروع كتبه التي طار صيتها في الآفاق "اسلام اور دور جديد كا چيلنج" (الإسلام يتحدى) و"پيغمبر انقلاب" (رسول الثورة) و"عظمت قرآن" (عظمة القرآن) و"جهاد" (مفهوم الجهاد) و"جنت" (ما هي الجنة) و"الربانية" و"ماركسزم جسي إسلام رد كرچكا هي" (الماركسية التي رفضها الإسلام) وغيره مما يزهو على المائة.

والشيخ عبد الرحمن ناصر الإصلاحي من علماء "سدها سلطانپور" (Sidha Sultanpur) الذي بنى أحد أبنائها مدرسة الإصلاح وهو يقال له "الشيخ محمد شفيع". إنه جمع مقالات ورسائل مهمة في كتب فـ"مباحث القرآن" (موضوعات القرآن) و"مكتوبات داكتر خليل الرحمن الأعظمي" (رسائل الدكتور خليل الرحمن الأعظمي) و"معروف غير مسلمون كي اهم اردو خطوط" (الرسائل الأردية المهمة التي بعثها الهندوس المشهورون" خدمة جليلة في هذا المجال.

والشيخ ضياء الدين الإصلاحي مدير "دار المصنفين" بأعظم كره له مؤلفات عن القرآن والحديث والسير فـ"تذكرة

المحدثين" و"إيضاح القرآن" و"مولانا آزاد" و"هندوستان عربون كي نظر مين" (الهند كما يراها العرب) و"جند أرباب كمال" (بعض الرجال) مما يعد أهم كتب الهند.

والشيخ عبد الحسيب الإصلاحي من علماء مدرسة الإصلاح الذين نقلوا خدمات الهنود إلى العرب وأفادوهم بها فـ"أحكام الحجاب في القرآن الكريم" و"الدعوة الإسلامية ومناهجها" و"التفسير الحقيقي للإسلام" مما ترجمه الشيخ الإصلاحي من الأردية إلى العربية.

والدكتور شبيث إسماعيل الأعظمي رئيس سابق بقسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الملية الإسلامية. إنه ركز جهوده على خدمات الهنود في هذا المجال خاصة فقد قام بتأليف كتب مهمة على هذا الموضوع ومن أعماله "مغربي أفريقة مين إسلام" (رواج الإسلام في أفريقيا الغربية) و"عهد سلطنت كي فقهاء صوفيه أور دانشورون كي نظر مين هندو كي حيثيت"(درجة الهندوس لدى فقهاء وصوفية وعلماء عهد سلاطين)" و"دراسات إسلامية كي فروغ مين هندوون كي خدمات (خدمات الهندوس في تطور الدراسات الإسلامية) وهو يريد أن يكتب عن مستشرقي ألمانيا.

والدكتور الطاف أحمد الأعظمي عميد سابق بكلية التاريخ الطبي بجامعة همدرد. إنه كاتب وخطيب رائع له خدمات جليلة في الدراسات الإسلامية بجانب خدماته في الطب فـ"توحيد كا قرآني تصور" (التصور القرآني للتوحيد) و"إيمان كا قرآني تصور"

(التصور القرآني للإيمان) و"سورة الفاتحة ايك تحقيقي مطالعة" (سورة الفاتحة، دراسة تحقيقية) و"فلسفة وحدة الوجود، ايك غير إسلامي نظرية" (فلسفة وحدة الوجود، وجهة نظر غير إسلامية) و"تين أهم إسلامي جماعتين ، ايك تنقيدي مطالعة" (الجماعات الثلاث الإسلامية المهمة، دراسة ونقدية) و"مولانا آزاد كا قرآني فهم (مدى فهم المولانا آزاد للقرآن الكريم) كتب مهمة في الموضوع.

والدكتور عناية الله أسد السبحاني العميد السابق لجامعة الفلاح أسوة في اللغة الأردية وآدابها. إنه يكتب ويترجم بالعربية والأردية معا إلا أن أرديته أفصح من عربيته. له مؤلفات قيمة وتراجم رائعة في العربية والأردية ومنها "البرهان في نظام القرآن" "وإمعان النظر في الآي والسور" و"حقيقت رجم" (ما هو الرجم؟) و"محمد عربي" (ترجمة) و"الميزان".

والدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي الندوي من متخرجي مدرسة الإصلاح وندوة العلماء. إنه يكتب ويترجم بالعربية والأردية معا إلا أن عربيته أفصح وأسلس من أرديته. من أهم مؤلفاته وتراجمه "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (ترجمة) و"مفردات القرآن" (تحقيق) و"فن غريب الحديث" (ترجمة).

والدكتور ظفر الإسلام خان شخصية لا تحتاج إلى أي تعريف وتقديم. إنه معروف في العرب والأوروبا على سواء. إنه

خدم الإسلام باللغات العربية والإنجليزية والأردوية ومؤلفاته تزيد على العشرة كما تزيد تراجمه على الثلاثين ولنذكر بعضا منها:

١) Hijrah in Islam (الهجرة في الإسلام)

٢) التلمود

٣) الشاه ولي الله الدهلوي

٤) Palestine Documents (وثائق فلسطين)

٥) الإسلام يتحدى (ترجمة)

٦) تجديد علوم الدين (ترجمة)

٧) حقيقة الحج (ترجمة)

٨) سقوط الماركسية (ترجمة)

٩) الدين في مواجهة العلم (ترجمة)

١٠) حكمة الدين (ترجمة)

١١) التوحيد والتسخيخ (ترجمة)

١٢) الثورة الإسلامية في إيران (ترجمة)

وكذا حصل سميُّه الدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي الذي من أهل قرية "التشتي بور" (Chhitaypur)، إنه من متخرجي مدرسة الإصلاح ويعمل التدريس في الدراسات الإسلامية بجامعة علي كره

الإسلامية. إنه معروف كباحث ومحقق في دوائر العلم في الهند ومن مؤلفاته "Socio-economic dimension of Fiqh literature in medieval India" (الحجم الاجتماعي-الإقتصادي للفقه في العصور المتوسطة في الهند) و"كتابيات فراهي" (المفهرس للمقالات والكتب عن الإمام الفراهي) و"إسلامي قوانين كى ترويج وتنفيذ" (ترويج وتنفيذ القوانين الإسلامية) و"سر سيد وايم.اي.او كالج اور دينى ومشرقى علوم" (السيد أحمد خان وكلية ايم.اي.او والعلوم العربية والشرقية) و"عهد فيروز شاهى كى هندوستان مين سلاطين دهلي اور شريعت اسلامية، ايك مختصر جائزه" (استعراض موجز لسلاطين دلهي والشريعة الإسلامية في عصر فيروز شاه في الهند)

والدكتورة فريدة خانم بنت الشيخ وحيد الدين خان. إنها مدرسة بقسم الدراسات الإسلامية في الجامعة الملية الإسلامية في نيودلهي ولها تضلع تام من اللغة الإنجليزية إنها صنفت ثلاثة كتب أحدها بالأردية وهو "أمهات المؤمنين" والآخر بالإنجليزية وهو "A Simple Guide to Islam" (دليل ساذج على الإسلام) والثالث "Life and teachings of the Prophet Mohammad" (سيرة وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم). هي أيضا مديرة شرف لمجلة "الرسالة" الشهرية الإنجليزية وأحدث مقرر جامعة كشمير الدراسي للدراسات الإسلامية. ولها ترجمات إنجليزية عديدة لمؤلفات أبيها من نموذج خير لجمال اللغة.

الدكتور ثاني اثنين إذ الأول الدكتور ظفر الإسلام خان وكلاهما ولدا الشيخ وحيد الدين خان. إن الدكتور يعرف اللغة الإنجليزية جيدا ومؤلف كتبه بهذه اللغة لا سيما سلسلته "Tell me about..." (أخبرني عن...) مثل "أخبرني عن النبي محمد" و"أخبرني عن الحج" بذكر الصور. إن هذه السلسة مفيدة جداً لعامة المسلمين في أوربا. إنه مدير مساعد لمجلة "الرسالة" الشهرية الإنجليزية.

والدكتور أبو سفيان الإصلاحي مدرس في قسم اللغة العربية في جامعة علي كره الإسلامية. إنه مكثر في الكتابة والتأليف، له أكثر من مائة مقال مطبوع في مختلف المجلات الهندية. إنه صنف كتبا عديدة في مجالي اللغة العربية وأدبها والدراسات الإسلامية فالكتب التي تتعلق بهذا المجال أهمها "قرآن كي چند اهم مباحث" (بعض موضوعات القرآن المهمة) و" مولانا محمد أسلم، حيات وخدمات (سيرة الشيخ محمد أسلم الجيراجبوري) و"الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز عمر بن مازه البخاري". إنه يريد أن يقوم بدراسة المفسرين المصريين الجدد وتحقيق أشعار العرب التي استشهد بها الإمام الفراهي.

والأستاذ محمد عارف العمري المدني رفيق سابق "دار المصنفين" بأعظم كره، كتب مقالات عديدة في الدراسات الإسلامية مثل "جمع وتكوين القرآن" و"أبو مسلم الأصفهاني" و"الشاه عبد العزيز وتفسيره" وأما كتبه فهي إثنان: الأول " تذكرة مفسرين هند"

(تذكرة مفسري الهند) المجلد الأول ومجلداته الأخرى تحت التكوين و"تاريخ موجز للبوسنة والهرسك".

والدكتور محمد طاهر المدني عميد جامعة الفلاح بأعظم كره، إنه من أولاد الشيخ صغير أحسن الإصلاحي الذي تشرب من فكرة الإمام الفراهي وتعرف بها. والأستاذ المدني مولع بالقرآن والفقه. إنه صنف كتابين: أحدهما يتعلق بالزكاة ويسمى "مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية" والآخر يدل على دراسة القرآن ويسمى "قرآن كا مطالعه كيون اور كيسى" (تدبر القرآن، لم وكيف؟) إنه يعمل الدكتوراة من قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الملية الإسلامية.

والدكتوراة صفية عامر باحثة ومحققة في اللغة الإنجليزية. إنها كتبت مقالات عديدة بالإنجليزية عن المعارف والنساء. لها كتاب طبع حديثا وهو "Islamic Nationalism in India; thoughts of seven eminent thinkers" (الوطنية الإسلامية في الهند: أفكار سبعة مفكرين مشهورين).

والسيدة فاطمة الزهراء من كرهندا (Khonda) متخرجة في جامعة الفلاح بأعظم كره. لها ترجمات ومقالات تم نشرها في مختلف مجالات الهند. إنها قامت بتأليف كتاب مهم قيم في موضوع النفاق في القرآن وهو "قرآن اور منافقين كا كردار" (صفات

ومادات المنافقين في القرآن الكريم). إنها تريد أن تجمع معاني كلمات ومصطلحات القرآن التي شرحها العلامة أبو الأعلى المودودي في مختلف كتبه ورسائله القيمة الرائعة.

وينتهي المقال بذكر صاحبه الذي طبع بعض كتبه من بيروت وله أحد عشر كتابا مطبوعا وهي:

(١) الأيلم: دراسة تعريفية تحليلية نقدية

(٢) حركة الترجمة في العصر العباسي

(٣) مبادئ تدبر قرآن (أصول التدبر في القرآن) (تحقيق)

(٤) قاموس ألفاظ واصطلاحات قرآن (قاموس مفردات ومصطلحات القرآن) (جمع وتحقيق)

(٥) هندو علماء ومفكرين كي قرآني خدمات (خدمات الكتاب والمفكرين الهندوس للقرآن الكريم) (ترجمة)

(٦) The Handy Concordance of the Quran (فهرس أبجدي موجز للقرآن ومشتملاته)

(٧) A Glossary of the Quran (قاموس القرآن)

(٨) Shukr its reality (حقيقة الشكر)

(٩) Poverty and its Solution in Islam (ترجمة " قضية الفقر وكيف عالجها الإسلام")

(١٠) Quranic Wisdom (حكمة القرآن) (ترجمة)

(١١) Salah, its reality (حقيقة الصلاة) (ترجمة)

ومما لم يطبع من كتبه:

(١) حواشي الإمام الفراهي على القرآن الكريم (جمع وتحقيق)

وهو قام بتحقيق كتاب "أساليب القرآن" للإمام الفراهي ويريد أن يترجم "تفسير تدبر القرآن" إلى اللغة العربية.

ثبت بالمصادر:

١- الشيخ حبيب الرحمن القاسمي: (تذكرة علماء أعظم كره (بالأردية)

٢- الشيخ عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر

٣- الشيخ أبو يحيى النوشهري: تذكرة علماء أهل الحديث (بالأردية)

٤- الشيخ القاضي أطهر المباركفوري: تذكرة علماء مباركفور (بالأردية)

٥- الشيخ غلام علي آزاد البلغرامي: سبحة المرجان في آثار هندوستان

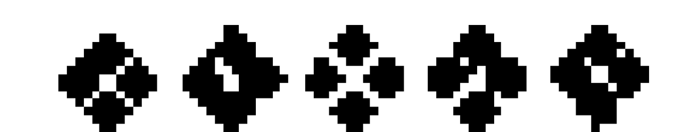
٦- الدكتور حبيب الله خان: الترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال

٧- مجلة "ترجمان الإسلام" الصادرة عن الجامعة الإسلامية بريوري تالاب، وارانسي

٨- مجلة المآثر الصادرة من المجمع العلمي، مئو

٩- مجلة دار العلوم الصادرة من دار العلوم بديوبند

١٠- وأما المعلومات عن الأحياء فأخذتها عن طريق الأسئلة – الأعظمي.



الدكتور حميد الله وآثاره بالعربية

- د. محمد نعمان خان*

ولادته ونشأته:

ينتمي الدكتور حميد الله إلى عائلة العلماء والوجهاء في أركات(Arcot) جنوبي مدراس (Madras) حاليا تشنائي (Chennai) وهو من "النوائط" وهي عائلة عربية هاجرت إلى الهند منذ غابر الأزمان. وتمتاز عائلته بالرئاسة في العلم والإدارة ولأبيه أيضا مؤلفات عديدة كما كان جده من العلماء البارزين في الهند.

ولد الدكتور محمد حميد الله في حيدر آباد حسب ما صرح نفسه في ليلة الأربعاء بتاريخ ١٦ محرم ١٣٢٦هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٠٨م، ولما بلغ أربع سنوات وأربعة شهور وأربعة أيام من العمر أقيمت له حفلة بداية القراءة المعروفة بحفلة "بسم الله" حسب التقاليد المحلية. وفي هذه الحفلة يقوم أحد الشيوخ بقراءة خمس آي سورة العلق على الطفل برفق وعلى مهل ثم يعيد الطفل

---

* - أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي.

هذه الأبيات فقرأ عليه والد الدكتور أبو محمد خليل الله هذه الأبيات وكان قد حفظها من قبل سمعا فبادر إلى قراءتها قبل أن ينتهي الوالد من هذه الأبيات فزجره أخوه الأكبر وبعض أقربائه الموجودين في الحفل، ثم ذهب الدكتور بعد مدة مع أخيه الأكبر إلى مدرسة دار العلوم قرب تشار ميتار (Char Minar) ودرس حتى الصف السادس الإبتدائي في تلك المدرسة، ثم أرسل إلى المدرسة النظامية ليتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية هناك، ولكنه بدأ يتعلم اللغة الإنكليزية دون أن يدري والده وبذلك اشترك في امتحان الصف العاشر (Metric) ودخل في قسم الدين من الجامعة العثمانية ونجح في امتحان البكالوريوس (B.A.) ثم أكمل الماجستير (M.A.) والبكالوريوس في القانون (LLB) في سنة واحدة (١٩٣٠م). ونجح في امتحان الماجستير بتقدير جيد جداً فسمحت له منحة للتحقيقات العلمية من الجامعة وبدأ عمله في التحقيق في موضوع القانون الإسلامي الدولي. وكان نشيطاً أثناء دراسته فانتخب سكرتيراً لجمعية القانون (١٩٢٩م) في الجامعة ثم نائباً لرئيس الجمعية(١٩٣٠م).

وذهب للحج بعد الانتهاء من الماجستير والحصول على المنحة، وأثناء ذلك حصل على القبول في جامعة بون (Bonn University) في ألمانيا وتفضلت الجامعة العثمانية بحيدر آباد بإبقاء المنحة للتحقيق في ألمانيا، فمنحت له شهادة الدكتوراة من جامعة بون في تسعة أشهر سنة ١٩٣٣م وكان عنوان رسالته "العلاقات

الدولية في الإسلام" وطبعت في السنة نفسها في ألمانيا، وكانت المنحة لثلاث سنوات، فسافر إلى إنجلترا وحاول القبول هناك، ولكن السلطات البريطانية اشترطت عليه بالإقامة فيها ثلاث سنوات ولم تعادل شهادة الدكتوراة من ألمانيا، فاضطر للسفر إلى فرنسا وحصل على شهادة أخرى للدكتوراة من جامعة سوربون (Sorbonne)، هناك (أغسطس ١٩٣٤م) وقدم المقالة بعنوان "السفارة الإسلامية في العهد النبوي وفي عهد الخلافة الراشدة" وطبعت الرسالة في سنة ١٩٣٥م في باريس، ثم أراد أن يسافر إلى روسيا ولكنه لم يتمكن لأن الجامعة طلبته قبل انتهاء مدة المنحة بسنة، فرجع إلى حيدر اباد وحصل على وظيفة التدريس في الجامعة العثمانية نفسها، أولا في قسم الدين وكان بالإضافة إلى التدريس في هذا القسم يلقي محاضرات في قسم القانون، ثم انتقل الدكتور مير سعادت علي من قسم القانون في الجامعة إلى المحاكم الشرعية، فتم تعيين الدكتور محمد حميدالله في قسم القانون الدولي ، وبقي يخدم القسم لغاية سفره في وفد حكومي لحيدر اباد إلى الأمم المتحدة في أغسطس ١٩٤٨م لعرض قضية استقلال حيدر اباد وعدم رغبتها لانضمامها بالهند. وكان الوفد مكونا من النواب (الأمير) معين نواز جنغ، رئيسا، والدكتور محمد حميد الله والدكتور يوسف حسين خان (الأخ الأصغر للدكتور ذاكر حسين رئيس الهند الأسبق) وظهير أحمد وشاه منذر ولكنه تم ضم حيدر اباد إلى الهند في سبتمبر ١٩٤٨م أي

قبل رجوع الوفد والانتهاء من مهمته واستخدمت القوة لإرساء الحكم فيها، ثم طلبت الهند من الوفد العودة للبلاد، فعاد جميع أعضاء الوفد، ولكن الدكتور محمد حميد الله لم يرجع وفضل البقاء في باريس وعاش هناك حياة حافلة بالعلم والتحقيق حتى قبيل وفاته.

أساتذته:

من العلماء الذين استفاد منهم الدكتور محمد حميد الله: الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، والمولوي عبد الحق المعروف ببابای أردو (Baba-e-Urdu) أي عميد اللغة الأردية، والأستاذ عبد القدير الصديقي، والأستاذ عبد المجيد الصديقي، والمفتي عبد اللطيف، والسيد مصطفى القادري، والمولوي محمد صبغة الله، والدكتور سيد عبد اللطيف، والدكتور جعفر حسين والأستاذ حسين علي مرزا.

وكانت الجامعة العثمانية في حيدر آباد تمتاز من بين الجامعات الهندية بأنه كان يدرّس فيها بالإضافة إلى الدكاترة والأساتذة المتخرجين في الجامعات العصرية من أوربا وغيرها، الشيوخ وعلماء الدين، ولذلك كان الدكتور أيضا يجمع بين الجديد النافع والقديم الصالح.

كان الدكتور حميد الله يجيد الأردية والعربية والفارسية والتركية من اللغات الشرقية، واللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية وغيرها والإيطالية من اللغات الغربية.

الدكتور محمد حميد الله في فرنسا:

ولما قرر الدكتور محمد حميد الله البقاء في باريس لاجئا بعد سقوط إمارة حيدر آباد، التحق بالمعهد القومي للأبحاث العلمية (C.N.R.) برئاسة ماسينون (Massignon) ولم يرجع إلى حيدر آباد ولم يزرها أبدا. وقضى ٢٥ سنة على منحة مركز أبحاث الدراسات الشرقية (Oriental Studies Research Centre)، ثم حصل على منحة المركز الوطني للتحقيق العلمي (National Centre of Scientific Research) التي استمرت لعشرين سنة، واشتغل في هذه المدة وبعدها في العلم والبحث والتحقيق وكان هذا رسالة حياته، وألقى محاضرات توسيعية أو إضافية في مختلف الجامعات في أوربا وآسيا، وساهم في وضع القوانين وخطة التعليم والتربية لحكومة باكستان الإسلامية الناشئة وكانت اللجنة كونت برئاسة السيد سليمان الندوي (ت ١٩٥٣م)، ولكنه لم يستمر في عمله هذا لأنه كان فيه تضييع للوقت كما هو الحال في برامج الحكومات في الشرق عامة، وقد قضى معظم أيام حياته وحيدا في باريس.

أدخل الدكتور حميد الله أحد مستشفيات باريس في ٢٠ يناير ١٩٩٦م وكان في حالة سيئة جدا وكاد يموت بسبب مرض هبوط الحرارة (Hypothermia) ولقي ربه يوم ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢م في فلوريدا، الولايات المتحدة[٦].

محاضراته في مختلف الجامعات والمؤسسات:

نظرا لأهمية الدكتور محمد حميد الله في مجال العلم والتحقيق والبحث فكان مقبولا على السواء في الشرق والغرب، فكانت الجامعات تدعوه لإلقاء المحاضرات فيها، ومن الجامعات التي ألقى فيها محاضرات جامعات باريس وجامعات ألمانيا وبخاصة جامعة بون منها حيث درس فيها وعمل محاضرا فخريا فيها أثناء دراسته، وجامعات تركيا: استنبول، أنقرة، وأرضروم، وجامعة كوالالمبور بماليزيا وجامعات باكستان. وبالإضافة إلى نشاطاته العلمية كان يقوم بالدعوة والإرشاد فأسلم على يده كثير من الناس وخاصة في أوروبا وبالأخص منها في مدينة باريس. وكان الجنرال ضياء الحق رئيس باكستان الأسبق عرض عليه أيضا رئاسة قسم السيرة النبوية في جامعة بهاولبور (Bhawalpur University) ولكنه لم يقبل ذلك واكتفى بإلقاء المحاضرات فيها والتي طبعت فيما بعد بعنوان "خطبات بهاولبور" باللغة الأردية. وكان قد قابله رئيس وزراء باكستان السابق نواز شريف في زيارته لفرنسا ووجه إليه الدعوة لزيارة باكستان فحضر وألقى محاضرات عديدة في مختلف الجامعات والنوادي العلمية.

أعماله وآثاره في العربية:

تمتاز أعماله وأبحاثه بالدقة والشمول وكان لا يكتب إلا بعد التحقيق والتحقق من الموضوع والمواد، وكان موضوعه المحبب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات والسلام. وقد طبع له

أكثر من ألف مقال كما يقال، كما طبع له أكثر من ١٧٥ كتابا ورسالة، وأكثر كتاباته تدور حول الإسلام وخاصة حول القانون الإسلامي والسيرة النبوية والدفاع عن السنة والرد على الشبهات حول الإسلام. وكان من طبيعته الإكتشاف والنكت والبحث عن المراجع والمصادر الأولية فطبع بعض المراجع الأصلية بتحقيقه ونذكر هنا بعض أهم آثاره:

يمكن أن نقسم آثاره في الأقسام التالية:

أ- السيرة النبوية والأحاديث الشريفة

ب- الفقه أو القانون الدولي

ج- التاريخ والأنساب

د- اللغة والأدب

في السيرة والأحاديث الشريفة:

١. صحيفة همام بن منبه، نشرها من مخطوطة برلين بعد أن حققها وعلق عليها مع مقدمة في تاريخ تدوين الحديث وطبع الكتاب من بيروت. وطبعت الترجمة الأردية للكتاب مع زيادات في المقدمة في حيدر آباد ١٩٥٥-١٩٥٦م كما طبعت الترجمة الإنكليزية مع زيادات في المقدمة في حيدر آباد ١٩٦١، ١٩٧٩م

٢. كتاب السرد والفرد في صحائف الأخبار ونسخها المنقولة عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من جمع الشيخ أبي

الفير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، المجلس الوطني للهجرة بإسلام آباد ١٩٩٠م

٣. الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة – لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٤١م، ثم أعيد نشره في بيروت (دار الإرشاد ١٩٦٩م/ ٥٥٤ ص) وترجمه إلى اللغة الأردية مولانا أبو يحيى نوشهري ونشرت بلاهور في باكستان.

٤. سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط ١٩٧٦م (٣٩٥ ص).

٥. مقدمة على سنن سعيد بن منصور في المجلد الأول منه دابهيل ١٩٦٨م.

وفي الفقه والقانون الدولي:

١ـ المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي بتحقيقه بالاشتراك مع محمد بكر وحسن حنفي، المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م (٢ مج)

٢ـ كتب مقدمة مهمة على كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم بتحقيق الدكتور صبحي الصالح (دار العلم للملايين، بيروت) ١٩٦١م في موضوع علم السير وحقوق الدول في الإسلام، (ط ٢/ ١٩٨٣م) ص ٧٤-٩٥

وفي التاريخ والأنساب:

١ـ أنساب الأشراف تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري القسم الأول / تحقيق الدكتور محمد حميد الله، القاهرة، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف ١٩٥٩م / ذخائر العرب ٢٧ (مقدمة التحقيق ٥ـ٨ (٥٩٤ ص + الفهارس ٥٩٥-٧٢٢).

٢ـ معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر (جزائر الخليج العربي الفارسي) لابن العراق (نعمان بن محمد)، مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد ١٩٧٣م (١٦٥ + ١٧ ص بالإنكليزية)

كتاب ما جاء إسمان أحدهما أشهر من صاحبه = انظر الأمثال (في قسم الأدب واللغة).

وفي الأدب واللغة:

١. كتاب الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة بتحقيقه بالاشتراك مع شارل بلا، دائرة المعارف العثمانية (٢٥٠ صفحة)، ط ٢ (١٩٧٨م) ٢٢٤ص.

٢. الذخائر والتحف القاضي رشيد بن الزبير، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، ١٩٥٩م.

٣. كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، القسم الثاني من القاموس النباتي حروف س.ي (ملتقطات ما نسب إليه عند

المتأخرين) ويكمل الجزء المطبوع في أوروبا الذي يحتوي على المواد من حرف الألف إلى الزاي/ مصر ١٩٧٢م.

٤. الأمثال وما جاء باسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسميا به (رسالتان) لمحمد بن حبيب البغدادي، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ج ٤ ١٩٥٦م ص ٣٥ ــ ٤٥.

كما توجد له بعض الكتب التي لم تر النور لغاية الآن، وهي:

١. تاريخ تطور الدستور عند المسلمين. يحتوي المجلد الأول منه على الوثائق الدستورية في مكة قبل الإسلام ومن العهد النبوي إلى نهاية العصر الأموي (محاضرات جامعة استنبول).

٢. أديان العالم ومقارنتها على حدة مع الإسلام (كذا) (محاضرات جامعة استنبول)

٣. غياث الأمم لإمام الحرمين الجويني*

١ـ صحيفة همام بن منبه:

هذه الصحيفة عبارة عن أحاديث كتبها أبو هريرة الصحابي رضي الله عنه عن النبي ﷺ وعرفت بالصحيفة الصحيحة، ثم نقلها عنه تلميذه همام بن منبه. وهذا أقدم ما وصل إلينا كتابة عن رسول الله ﷺ، لأن أبا هريرة (عبد الرحمن بن صخر) رضي الله عنه توفي في ٥٩ من الهجرة، وقد عثر الدكتور حميد الله على مخطوطتها في برلين أثناء دراسته في ألمانيا، ثم دله الدكتور زبير أحمد الصديقي على نسخة

أخرى من الصحيفة في المكتبة الظاهرية (مكتبة الأسد الحالية) بدمشق. نسخة برلين متأخرة حيث كتبت في بداية القرن الثاني عشر للهجرة، وكتبت النسخة الدمشقية في القرن السادس من الهجرة النبوية الشريفة لحقق الدكتور هذه الصحيفة وقارن بين نسختيها وكتب مقدمة مسهبة في تدوين الحديث وكتابته في العهد النبوي الشريف وأثبت بالبراهين والأدلة بأن الحديث كان يكتب في أيام الرسول ﷺ، كما أن النبي ﷺ كتب كتابا للمهاجرين والأنصار واليهود للتعامل بينهم، يعتبر أول وثيقة دستورية للدولة الإسلامية التي كان يقودها النبي ﷺ، ثم ذكر أنه بالإضافة إلى أبي هريرة رضـ كان هناك أصحاب أخرون للرسول ﷺ، كانوا يكتبون الأحاديث أيضا عن رسول الله ﷺ بإذنه وبذلك فند الدكتور مزاعم الذين يرون أن الحديث لم يكتب إلا في القرن الثالث للهجرة. ونشرت الصحيفة أولا في مجلة المجمع العلمي بدمشق (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) الصفحات ٩٦-١١١ ثم نشرت في باريس من المركز الثقافي الإسلامي (Centre Cultural Islamique) ١٩٧٩م في ٧٤ صفحة[٦]. وترجمها أخوه الأكبر محمد حبيب الله إلى الأردية، وصححها الدكتور حميد الله نفسه وخرج أحاديثها ورقمها، فبلغ عدد الأحاديث إلى ١٣٨ حديثا. وشكر في المقدمة الدكتور زبير أحمد الصديقي الذي دله على مخطوطة دمشق من الصحيفة وأستاذه في الجامعة العثمانية الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، وجعل الدكتور ملحقا بالمعلومات التي

وجدها في مكتبة استانبول وسماه "باز ياد" أي تذكرتها فيما بعد. طبعت هذه الترجمة مع النص العربي أول مرة في حيدر اباد في سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م كما ترجمت الصحيفة إلى الفرنسية والإنكليزية والتركية.

٢- كتاب السرد والفرد في صحائف الأخبار ونسخها المنقولة عن سيد المرسلين صلى الله وسلم:

والكتاب من جمع الشيخ أبي الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني من علماء الحديث وأحد كبار الفقهاء الشافعية في القرن السادس للهجرة. ولد الشيخ أبو الخير في سنة ٥١٢ هـ وتوفي سنة ٥٩٠هـ وكان مولده ووفاته في قزوين. وقال المؤلف في تسمية كتابه: "هذا الكتاب يتضمن صحائف ونسخا ثلاثينا، كل منها تحوي أخبارا كثيرة عن سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بإسنادها الوحيد تسهيلاً لحفظها على طلاب علم الحديث، سميته "كتاب السرد والفرد" يعني به سرد الأحاديث المتعددة بالأسانيد المنقولة المتفقة". والكتاب يحتوي على الصحائف التالية:

صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة

صحيفة كلثوم بن محمد عن أبي هريرة

صحيفة عبد الرزاق عن أبي هريرة

صحيفة حميد الطويل عن أنس بن مالك

صحيفة من طريق أهل البيت عن علي بن أبي طالب

صحيفة إلياس وخضر عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم

صحيفة الأشبح عن علي بن أبي طالب

صحيفة جعفر بن نسطور الرومي

صحيفة خراش عن أنس بن مالك

صحيفة عبد الرزاق بن عمر

صحيفة جويرة بنت أسماء عن ابن عمر

نشر الدكتور الكتاب من النسخة الخطية التي كتبت سنة ٥٩١هـ بعد تحقيقه ورقم الأحاديث في كل مخطوط كما أعطى رقما متسلسلا لجميع أحاديث الكتاب، فبلغ العدد إلى ٤٥٤ حديثا، ثم ترجمها إلى اللغة الإنكليزية وكتب مقدمة تفصيلية عرف فيها جميع الصحائف وألقى الضوء على تاريخ تدوين الحديث.

نشر الكتاب من المجلس الوطني للهجرة بإسلام آباد ١٩٩٠م جاء متن الحديث بالعربية في الجانب الأيمن من الكتاب في ٧٣ صفحة ثم صفحات مصورة من المخطوط، وطبع القسم الإنكليزي من جهة اليسار، ففي بداية القسم الإنكليزي تقريظ الكتاب لشريف الدين بيرزاده، ثم تعريف الدكتور محمد حميد الله لأصحاب

للصحائف وتاريخ تكوين الحديث في ٢٩ صفحة، ثم ترجمة إنكليزية لمتن الأحاديث ١٠٢ صفحة.

٣- الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة:

هذا من أهم الأعمال التي قام بها الدكتور حميد الله وهو أصلا رسالته التي قدمها في جامعة باريس (سوربون) وقد طبع بالعربية بعد الإضافات والتنقيحات. جمع فيه الوثائق السياسية الخاصة بعهد الرسول ﷺ وبأيام الخلافة الراشدة، وهذا يعني أن الكتاب تحوي على الوثائق السياسية الأولية للإسلام للفترة التي تزيد نصف قرن من الزمن. وعدد الوثائق التي جمعها الدكتور حميد الله يصل إلى ٣٧٣ وثيقة والكتاب مقسم في أربعة أقسام، القسم الأول يشمل وثائق النبي ﷺ قبل الهجرة وفي القسم الثاني الوثائق التي كتبت بعد هجرة الرسول ﷺ، بدأ هذا القسم بوثيقة النبي ﷺ التي تمت كتابتها لتحديد الالتزامات والواجبات والحقوق بين المهاجرين والأنصار واليهود، وتعتبر هذه الوثيقة أول دستور للإسلام ثم ذكر الوثائق الخاصة بالعلاقات مع الروم والفرس وبين القبائل العربية ويحتوي القسم الثالث على الوثائق التي كتبت في عهد الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ /٦٣٢ – ٦٦١م)، سجل فيه أولا وثائق خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي على الترتيب. ويشتمل القسم الرابع على الملاحق، ذكر فيها العهود مع اليهود والنصارى والمجوس والتي تنسب إلى النبي ﷺ. ثم ألحق بالوثائق التي عثر عليها بعد بدء

طباعة الكتاب، وفي آخره فهارس مختلفة من الصور والخرائط والجداول وما إلى ذلك. وأثبت الدكتور بأنه لم يكن هناك إعتماد كلي على المعاملات الشفوية في بداية الإسلام بل كان المسلمون قد أمروا بكتابة المعاملات كما جاء في القرآن الكريم "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه" (سورة البقرة: ٢٨٢) ثم يأتي في هذه الآية أيضا "ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا". كما أسلفنا أن الكتاب كان رسالة قدمها في جامعة سوربون للدكتوراة في الآداب سنة ١٩٣٣ م و طبع في اللغة الفرنسية بفرنسا سنة ١٩٣٥م، ثم نقله إلى العربية وطبعه بإضافات من القاهرة سنة ١٩٤١م ثم نشرت طبعة جديدة منقحة ومزيدة في القاهرة أيضا سنة ١٩٥٦م، وطبعته هذه المرة لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كان يشرف عليها الدكتور أحمد أمين. ثم أعيدت طباعته أكثر من مرة. وترجمه الشيخ أبو يحيى إمام خان النوشهروي ونشر ترجمته مجلس ترقي أدب بلاهور، ولكن الدكتور لم يرض بهذه الترجمة، ثم طبعت ثانية بعد التصحيح عام ١٩٨٦م.

٤ـ كتاب السيرة لابن إسحاق

كتاب السيرة لمحمد بن إسحاق المتوفى ١٥١هـ يعتبر من المصادر الأولية للسيرة النبوية الشريفة، وهو المصدر الأصلي لكتاب السيرة لابن هشام، ومحمد بن إسحاق هو تلميذ محمد بن

شهاب الزهري المتوفي ١٢٤هـ ، وهو أول من بدأ تكوين الحديث الشريف بإيعاز من الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز. وكان الكتاب يعتبر مفقودا. وقد وجد الدكتور حميد الله نسخة خطية من الكتاب في مكتبة الظاهرية (مكتبة الأسد حاليا) بدمشق، كتبت في ٤٥٤هـ كما وجد نسخة خطية أخرى في مكتبة جامع القرويين بفاس، كتبت سنة ٤٥٦هـ فاعد الدكتور الكتاب بالمقارنة بين النسختين وبالمصادر الأخرى وطبع بعنوان الكتاب الكامل السيرة المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمعاد في الرباط من قبل معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ١٩٦٧م (٢٩٥ صفحة). وترجم الكتاب إلى الأردية المحامي نور إلهي ونشرت في العدد الخاص بالسيرة من مجلة "نقوش" الباكستانية.

هذا وقد ترجم له كتاب ميادين الحرب في العهد النبوي، ترجمه إلى اللغة العربية عبد الفتاح إبراهيم وطبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤م. وقصة تأليف هذا الكتاب أن الدكتور قرأ مقالة مختصرة في الموضوع بالفرنسية في جامعة سوربون سنة ١٩٣٩م، فكتب بحثا بالفرنسية زودها بخرائط لميادين الحرب ثم نقلها إلى اللغة الأردية ونشرت أول مرة في مجلة التحقيقات العلمية في الجامعة العثمانية في ١٩٤٠م. ثم ظهرت في شكل كتاب سنة ١٩٤٥ م من شركة ورثه بحيدر آباد. والكتاب فريد من نوعه ويمتاز حيث زار صاحبه الأماكن بنفسه مرتين وزين الكتاب بالخرائط والصور يتمكن القارئ من فهم الأماكن كأنه شاهد عين. وقد ترجم الدكتور

هذا الكتاب إلى الإنكليزية أيضا وأفاد بأنه وفق لزيارة هذه الأماكن بعد طبع الترجمة الإنكليزية من جديد وحصل على معلومات أخرى سيضيفها في الطبعة اللاحقة ولا ندري هل أضيفت هذه المعلومات إلى أية طبعة من الكتاب أم لا. وترجم الكتاب إلى الفارسية غلام رضا سعدي ونشرها في طهران ١٩٥٦م كما ترجم إلى التركية صالح تك ونشرت في إستانبول سنة ١٩٦٢م. والكتاب يشتمل على الأبواب الثمانية التالية:

١. أسباب الحروب النبوية صلى الله عليه وسلم
٢. البدر
٣. أثريات ميدان البدر المعاصر
٤. الأحد
٥. الخندق
٦. فتح مكة
٧. الحنين والطائف
٨. حروب اليهود

مقالاته بالعربية

١. أقدم دستور مسجل في العالم، وثيقة مهمة للعصر النبوي، مؤتمر دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد، الدكن ١٩٣٨م.

٢. دارم وثوث، مجلة المجمع العلمي بدمشق ج ٩ (١٩٥٤م)

٣. شجرة دارم ومزيتها، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١: ٣٠ (كانون الثاني ١٩٥٥م) ص ٦٩٤

٤. أفكار أبي حنيفة الدينوري في العلوم الطبيعية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣: ٣١ (١٩٥٦م) ص ٤٠٩ ـ ٤١٥

٥. المخطوطات العربية في باريس، مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة ٢/٢ (١٩٥٦م).

٦. المخطوطات الجديدة من أنساب الأشراف للبلاذري، مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة ٦/١ ـ ٧ (١٩٧٠م)

٧. إستدراك من كتاب النبات للدينوري، مجلة المجمع العربي العلمي بدمشق ج ٣٦ (١٩٦١م)

٨. حول نبائح أهل الكتاب، مجلة الحج، مكة المكرمة ج ٥ أغسطس ١٩٦١م.

٩. كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري المشهور بكتاب سياسة القضاء وتدبير الحكم مع بحث بالفرنسية باريس

١٠. كتاب الشماعات للكندي، مجلة العلم تونس العدد ٩ـ١٤ (١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م)

١١. هل تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الرومي؟ الوعي الإسلامي، الكويت فبراير ١٩٦٦م

١٢. الأواصر القومية في نظر الإسلام، البعث الإسلامي، لكنهو بالهند، ج ١٥/٢ أكتوبر ١٩٦٦م

١٣. السير أو القانون الدولي، الدراسات الإسلامية، إسلام آباد ج ٣/٣ سبتمبر ١٩٦٨م

١٤. حول موضوع الزي الإسلامي – الحجاب، الشهاب بيروت ج ١٥/٢ (١٥ ديسمبر) ١٩٦٨م

١٥. علم النبات عند المسلمين ومكانة الدينوري فيه، الفكر الإسلامي، بيروت ج٧: ١ أيار/ ص ١٣ ـ ٢٨ ج ٨: ١ حزيران / ص ١٤-٢٧ ، ج ١: ٩ تموز/ ص ١٣-٢٤ ، ج ١: ١٠ آب / ص ١١ ـ١٨، وتشرين الأول ١٩٧٠م

١٦. صلات أرنست رنان مع جمال الدين الأفغاني، الفكر الإسلامي بيروت ج ٢/٢ فبراير ١٩٧١م

١٧. توحيد الأحكام وتكوين الفقه على أيدي الأئمة زيد بن علي وأبي حنيفة ومالك والشافعي، الإيمان، الرباط ج ١٥ أغسطس ١٩٧١م.

١٨. آراء كاتب جلبي في بعض المسائل الفقهية المتأثرة بعلم الهيئة الجديد، إسلام تتقيقلري تمسش تومو دركيسي، كلية الآداب بجامعة إستانبول ج ٤/٣ (١٩٧١م)

١٩. فقهاء إيران قبل الطوسي، في تقرير المؤتمر للذكرى الألفية للشيخ الطوسي، مشهد ج ٢ وعنه في الوعي الإسلامي، الكويت ج ٨ ، يوليو ١٩٧٢م

٢٠. الحجر الأسود يمين الله في الأرض، الفكر الإسلامي، بيروت ج ١٠/٣ أكتوبر ١٩٧٢م

٢١. النفط في معرفة المسلمين، مجلة العلم ، تونس ج ٧/١ (١٩٧٢م)

٢٢. مشاورات دينية، مجلة الرائد، فن (ألمانيا الغربية) شهر ديسمبر ١٩٧٢م

٢٣. الألمان في خدمة القرآن، مجلة فكر وفن ، هامبورغ، ألمانيا ع ٣ (١٩٦٣م)

٢٤. صنعة الكتابة في عهد الرسول والصحابة، مجلة فكر وفن، هامبورغ، ألمانيا ع ٣ (١٩٦٤م)

٢٥. توقيت الصوم والصلاة في المناطق غير المعتدلة، المسلمون، جنيف ج ٥ (١٩٦٤م)

٢٦. أفكار ابن رشد في فلسفة الحقوق والقانون، في الكتاب الذهبي للمهرجان التذكاري، تطوان، المغرب ١٩٦١م

٢٧. مملكة حيدر أباد الدكن، المملكة الآصفية، بغداد ١٩٤٨م

٢٨. تـراجم القـرآن فـي اللغـات الأجنبـية، المجلـة العربـية، الرياض مايو ويونيو ١٩٧٧م

٢٩. فتح الأندلس (أسبانيا) في خلافة سيد (نا) عثمان سنة ٢٧ للهجرة، الدراسات الإسلامية، إسلام أباد (الربيع والصيف ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ١١-١٨

٣٠. خلق الكائنات وأصـل الأنواع حسب القرآن والمفكرين المسلمين، الدراسات الإسلامية، إسلام أباد

وبالإضـافة إلى ذلك نشر القرآن الكريم من ثلاث نسخ خطية على الجلد والموجودة في طاشقند (أزبكستان) وإستانبول (تركيا) ونسخة المكتب الهندي بلندن ووصل إلى النتيجة بأن النسخ الثلاث مكتوبة على نوع واحد من الجلد، وتوجد بقع الدم على نسخة إستانبول والظاهر هذه النسخة هي النسخة التي كان يتلوها أمير المؤمنين عثمان بن عفان عندما استشهد. وهذه النسخ الثلاث في الخط الكوفي ، فاعتبر الدكتور نسخة سمرقند (؟) الأصل وسمّاها المصحف العثماني ونشره في الخط الحديث الرائج للقرآن الكريم مشكولا من فيلادلفيا (Philadelphia) سنة ١٩٨٥م.

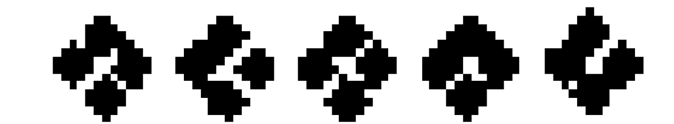
وكان الدكتور حميد الله يتقن لغات كثيرة شرقية وغربية، وقـد تـرك مؤلفـات عديـدة فـي الفرنسية والإنكليزية والألمانية والأردية والتركية والفارسية. ومن أهم أعماله ترجمة القرآن الكريم

إلى الفرنسية والتي نشر منها أكثر من عشرين طبعة، وطبعت كل مرة أكثر من عشرين ألف نسخة. وكتابه في التعريف عن الإسلام ترجم إلى أكثر من عشرين لغة.

عاش معظم حياته في باريس ولكنه لم يكن متجنسا بأية جنسية[7] من فرنسية أو هندية أو باكستانية. وكانت حياته نموذجا عمليا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" حيث كان يعيش حياة الفقراء والغرباء في مدينة كمدينة باريس، وكان يسكن في شقة ذات غرفتين في الطابق الرابع في بناية ليس فيها مصعد، وليس في بيته شيء من الأساس الفاخر أو الكماليات بل كان بيته مملوءا بالكتب. وكان يقوم بجميع أعماله بنفسه. وكان قد ترك أكل اللحوم منذ حوالي ٣٠-٤٠ سنة وكان طعامه الخضروات المغلية والحليب ومصنوعاته والبيض والفواكه. مرة جاء إلى إسلام آباد فتعجب الناس عندما رأوه حيث لم يكن معه إلا حلتين من اللباس وزوج من الحذاء، وبعض الكتب وهدايا للأقارب. وكان قد منح جائزة هلال باكستان من قبل رئيسها الأسبق ضياء الحق كما انتخب لجائزة الهجرة الباكستانية[8]، والمبلغ الذي منح في الجائزة بقيمة مليون روبية في مستهل القرن الخامس للهجرة اعترافا لخدماته في البحث والدعوة فتبرع الدكتور هذا المبلغ لمجمع البحوث الإسلامية قائلا: لو أخذت هذا في الدنيا ماذا آخذ عند الله في الآخرة. وكانت كتبه مقبولة جدا فاستفاد بها ناشروها

ولم يكن يأخذ أي مبلغ مقابل حق النشر، وإذا أعطي مبلغا فكان يوزعها بين الفقراء واليتامى والأيامى. وكان حسن الخلق كريم النفس وكان إذا أتى أحد لزيارته من الخارج، كان يستقبله على المطار ويضيفه ويأخذه لزيارة المدينة. هكذا عاش عالمنا العبقري ولقي ربه وهو في خدمة العلم.

وأخيرا ندعو الله أن يغفرلنا وله وأسكنه فسيح جناته، ويوفقنا لما فيه خير الأمة بأجمعها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحواشي:

[1] - عرف في الحقيقة بناية كليتي العلوم والآداب في جامعة فرنسا باسم السوربون ثم عرفت الجامعة بهذا الاسم، والاسم مأخوذ من اسم مؤسس كلية اللاهوت روبير دو سوربون (Robert de Sorbon) الذي أسس الكلية حوالي ١٢٥٧م.

[2] - قسم القانون الدولي أول ما تأسس، تأسس في الجامعة العثمانية بمساعي أستاذ الدكتور حميد الله البروفيسور حسين علي مرزا ثم تأسس في جامعة إله آباد (معارف يوليو ٢٠٠٣).

[3] - اللغة التركية لغة إسلامية وليس الأمر كما يظن البعض بأن اللغة التركية القديمة والعثمانية التي كانت تكتب بالحروف العربية كانت هي اللغة الإسلامية فقط لأن التركية الحديثة غنية بالمواد الإسلامية المختلفة، وقد ترجم جميع المقالات الواردة في

الطبعة الأولى من الموسوعة الإسلامية المطبوعة في لندن، وذلك بعد التصحيح والتنقيح كما أضيفت فيها مقالات لم تكن موجودة في الأصل المترجم منه.

[٤] - وجاء في مقالة الدكتور تاج الدين الأزهري بالعربية ما يلي: ذهب الدكتور في إحدى (كذا) أيام يناير ١٩٩٦م ليأخذ بعض النقود من حسابه ولكنه وجد بأن أحدا من الناس زور توقيعه وأخذ من حسابه جميع النقود ولم يترك شيئا، فرجع الدكتور إلى بيته ولم يخبر أحدا، وبعد بضعة أيام كان يوم الجمعة فذهب الدكتور لأداء صلاة الجمعة فأغمي عليه في مسجد باريس الذي كان يصلي فيها دائما، وكان معه صديقه الدكتور عبد المجيد الحيدر آبادي فأخذه إلى الطبيب فورا واتضح أنه مصاب بضغط الدم النازل (الواطئ)، وسبب إصابته خلو معدته منذ عدة أيام، لأن الدكتور عاش على الماء فقط ولم يطلب من أحد شيئا كما أنه لم يخبر أحدا (معارف اسلامي ٥٠٠ نقلا عن مجلة عثمانية كراتشي إبريل يونيو ١٩٩٧

[٥] - وقد طبع الكتاب بتحقيق مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم، دار الدعوة بالإسكندرية ١٩٧٩م (٤٨ - ٢٢٤ص) وبتحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨٠م (٦٠٠ص)

[٦] - مختار الفتوحات وجاء فيه أن الصحيفة وردت كاملة في مسند أحمد بن حنبل ٢/٣١٢-٣١٩ وجاء في معارف إسلامي (تاج) نشرت بدمشق في أعدادها الأربع (كذا بالتسلسل

[٧] - معارف (الدكتور أعلاه) ص ١٦٨

[٨] - محمد رشد ص ٢٦-٢٧ (مقالة السيد أحمد عطاء الله)

المصادر والمراجع:

معارف مارس ٢٠٠٣ شذرات من المولانا ضياء الدين الاصلاحي ص ١٦٢-١٧٠ معارف يوليو ٢٠٠٣: دكتور محمد حميد الله أور قانون بين الممالك من الدكتور محمد إلياس الأعظمي

معارف أكتوبر ٢٠٠٣: دكتور محمد حميد الله، تنقيد مكتوبات لحميد الله ص ٢٧٦-٢٨٥

معارف فبراير ٢٠٠٤م دكتور محمد حميد الله اور ماهنامه معارف اعظم كره لمحمد سجاد ص ١٠٣-١٢٠

معارف إسلامي (العدد الخاص عن الدكتور محمد حميد الله) مجلد: ٢ عدد: ٢، مجلد: ٢ عدد: ١ يوليو ٢٠٠٣ حتى يونيو ٢٠٠٤ كلية عربي وعلوم إسلامية علامة إقبال أوپن يونيورسٹي إسلام آباد مجلة مكتبة خدا بخش الشرقية أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٣م

دكتور محمد حميد الله مرتب محمد راشد شيخ، الميزان پبلشرز فيصل آباد، ديسمبر ٢٠٠٣م

صناعة العمارة الهندية ـ الإسلامية: هدفها وأسلوبها وجمالها

ـ السيد جمال الدين*

ترجمة: فاطمة الزهراء**

إذا أردت أن تقدر مستوى الحياة لحضارة أو مجتمع فشاهد صورتها القائمة في صناعتها للعمارة فهي أوراق موثوق بها لأهداف حياتها وقوة الإظهار لإيقاناتها ودراسة رفعة أذهانها وعقولها لدى عملية الإظهار تلك. لم يقدر أحدنا على أن يقدم حتى الآن تعريفا ثابتا أو كاملا لصناعة العمارة ومع ذلك كلما نستخدم هذه الكلمة يفهم جميعنا معناها ومفهومها وهي مثلها مثل البيت إذا ذكرته جالت صورته أمامك أو مثل المسجد إذا بينته جاءت صورته أمام عينيك وهذا لأننا نترعرع ونشب في ظل حضارة خاصة محدودة ونجد في أذهاننا تصورا خاصا لهذه الصناعة المعمارية، يصل إلينا

---

* ـ أستاذ سابق، قسم التاريخ، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي

** ـ إحدى مترجمات الهند

من البيئة التي تحيط بنا أو الحياة التي نحيى فيها. ونواجه الدقة الجوهرية لدى التعريف بصناعة العمارة بما أنها كلمة شعرية بحتة ولو أن المباني التي تأتي تحتها لا يتم بناؤها على منوال فن الشعر ولذلك هنا موقف أن المباني التي يحيط بها الجمال أو بنيت بأسلوب شعري هي ظواهر لهذه الصناعة وهذا لا يعني قطعا أن صناعة العمارة ليست بعبارة عن حسن الشعر. فالواقع أنها قصيدة الحياة وكلما قربت من حياة الإنسان ازدادت جمالا تخيليا ولذا حينما ندرس أي صناعة معمارية نضع أمام أعيننا أننا لا نستطيع بأن نصل إلى روحها الأصلية في ضوء معايبها ومناقصها ولو أن معايب أو مناقص الهندسة المعمارية تدل على منازل العروج لأسلوب أي مجتمع ولكن ينبغي لنا أن ندرس الجانب الإيجابي لهذه الصناعة. فإنه هو الدافع الجوهري وراء تشييد البناء وهو الوسيلة الوحيدة إلى فهم عمل تذكاري لأي حضارة أو مجتمع.

عرّف البروفيسور محمد مجيب صناعة العمارة بأنها عملية تصوير القالب في الكلمات وتصوير الكلمات في القالب وفيما يلي محاولة متواضعة لذكر نماذج من تصوير القوالب في الكلمات في ضوء صناعة العمارة الهندية – الإسلامية وكذلك للبحث عن قيم الحضارة الهندية – الإسلامية.

عملية الزرع وصناعة العمارة كلتاهما زينت سطح الأرض. فقد فضّل المسلمون الهندسة المعمارية في الهند أكثر من غيرها من

الفنون وفي البدء رجّح المسلمون نشر فروع الحكم مسوّرين المدن والمديريات على اختيار فنون الزرع منتشرين في القرى والأرياف وبالتالي فقد تطورت صناعة العمارة. كان قد انمحى تقليد تسوير المدن بعد عصر ملوك سلالة غوبتا(Guptas) في الهند ولكن لما جاء المسلمون وقع التمييز بين أهل المدن وسكان الأرياف عن طريق المباني والعمارات. كان جمع الأموال وقيام الحكم قد عزيا إلى المدن وتسوير الدفاع كان ضروريا ولذلك كان سور المدن وبابها من أجزاء خريطتها الضرورية ووجود القلعة التي كانت هي خزينة الأموال قد سكنها الملوك وكذلك تم تشييد المباني الدينية لجواز الحكم وإظهار العقيدة. ويمكن تقدير وتقييم الأوضاع التي مارسها الملوك بواسطة مشروعات المدن وأسوار القلعة ومباني المعابد والمساجد.

قد تم تسوير وتعمير مدينة دلهي(Delhi) مرارا وتكرارا ولكل بلدتها قصة تاريخية خاصة بها فمهرولي(Mehrauli) وسيري(Siri) وتغلق آباد(Tughluqabad) وجهان بناه (Jahanpanah) وفيروز شاهكوتله (Feerozshah Kotla) ودين بناه(Deenpanah) وشاه جهانآباد (Shahjahanabad) كلها منتشرة في مدينة دلهي الواسع نطاقها وتدل آثار هذه البلاد أن دهلي كانت مدينة جذابة خلابة من مختلف الجهات فهذه مباني ثلاث بلادها فقط تعترف بدون شك وريب أنها أعمال تذكارية قيمة قام بها مسلمو الهند. فهناك مبان وعمارات أصبحت دليلا ونظيرا للمراكز الحضارة الأخرى لمسلمي الهند.

عندما أسس المسلمون الأتراك حكومتهم في شمالي الهند كانوا عارفين بالتحقيق بميراثهم الحضاري وكان التصور الإسلامي أو النموذج الإسلامي لصناعة العمارة أمام أعينهم فكانوا يعرفون هيئة المسجد أو المقبرة حتى كانوا يعرفون بتكنيك بناء هذه المباني فقد أنس أهالي بلادهم صورة المحراب والقبة قبل ورودهم ولو كانت أي قضية أو مشكلة فكان مصدر أو نوع الحلم وكذلك البحث عن البنائين وفوق ذلك تعليم وتفهيم البنائين الأجانب بناءَ المسجد فكان البناء الهندوسي لا يعرف إلا بناء المعبد الوثني الذي كان يظنه المسجد. والحال أنه كان بعد شاسع بين المعبد الهندوسي والمسجد الإسلامي فلو كان المعبد الوثني وسيما للغاية يحتلُّ الوثنُ المركزَ الرئيسي وهو لا يكون إلا في الحجرة الضيقة التي تسمى "رمان" ([illegible]) يتقدم فيها الرجل الوحيد ذاته إلى حضرة الوثن فكان الوصول إلى الوثن والمحبة له قضيتين شخصيتين[1] وكانت الوحدة جزءً لا ينفك عنهما وكانت هي موجودة في الحجرة الضيقة فقط ولو أن العرض والمظلة الهندوسية اللذان لهما طول وعرض وسيمان، كلتا من أجزاء هذا المعبد الضرورية ولكنهما لا يؤثران في العبادة الشخصية إلا زينة المعبد فبقيت "رمان" ضيقة لا غير وبالعكس من ذلك فإن عبادة المسلمين عمل جماعي. وبما أن الجماعة لا يمكن عقدها في المكان الضيق كهذه فاحتلت الساحة في المسجد مركزاً رئيسيا أولاً فكان بعيدا مستبعداً أن نبحث عن التشابه بين المعبد

الهندوسي والمسجد الإسلامي ثم نقيم التفاهم على هذا وكلما يصنع المعبد الوثني حسب تصوره المروي يحتوي على "ومان" الضيقة التي لا تتمتع بزينة ونقش لكي يتوجه الجالس فيها إلى الوثن وينقطع إليه ولا يتخلل هذا العمل شيء خارجي. وأما المسلم فهو يزور المسجد في جماعة للسجود أمام رب واحد رحيم كريم فالراجي لرحمته وكرمه يكبره بكل أدب وعظمة في مسجده ويركع ويسجد له فالجماعة كلها تنضم إلى المصلين الراكعين خاشعة خاضعة فقد أعطى هذا التصورُ الجماعيُّ للعبادة أسلوبا بديعا لصناعة عمارة المسجد[1]. وكذلك تصور المقبرة الإسلامي كان حديثا للهند. والمسلمون، كما يبدو من آثارهم، لم يقوموا ببناء مبان أخرى زائد عنها غير المساجد والمقابر التذكارية ولو أن الوقت الظالم لم يُبق إلا قليلا منها ولكن ما يبقى منها، تاما أو غير تام، يعطي سقفه الرافع وبابه الواسع وقبته الواسعة ومنارته الطويلة أمثلة لذوق مسلمي الهند الأعلى في مجال صناعة العمارة ولو أن أجزاء هذه المباني المختلفة يتم عزوها إلى التقاليد الحضارية المختلفة ولكن اجتماعها في مكان أو بناء ليعتبر هدية خاصة في هذا المجال أعطاها المسلمون للهند الثانية.

ويوجد فيما بين الباحثين وأهل التحقيق موقف عزو بعض أجزاء صناعة العمارة الهندية – الإسلامية إلى الهندسة المعمارية الإسلامية كما ينسب بعضها إلى صناعة العمارة الهندوسية أو

اليونانية وبعد التمييز بين الأجزاء المختلفة جاءت النتيجة أن صناعة العمارة الهندية – الإسلامية نموذج لاختلاط التقاليد الإسلامية بالتقاليد الهندوسية. عدّ بعض أرباب التحقيق الغرب أسلوبا أهليا لصناعة العمارة الهندية – الإسلامية بينما جماعة منهم تصرّ على إعتبارها نوعا من أنواع الهندسة المعمارية الهندوسية. ومما لا يشك فيه أن هناك مباني إسلامية تضاهي بالأسلوب الهندوسي إلى حد يمكن إعتبارها هندوسية في الفن[٢]. وفي جانب آخر هناك عمارات تدل على أسلوب إسلامي خالص لا يشوبه الأسلوب الهندوسي ولكن هذه النماذج لا تهدينا إلى الحق. حكم المسلمون علىحضارات الشام ومصر وإيران وروما وأفريقيا وأسبانيا ويونان وخلطوا فيها العليا بحضاراتهم بحيث أنها أصبحت أسلوبا على حدة نسميه "الأسلوب الإسلامي" ومع ذلك فلو نظرنا بغور عميق علمنا أن المسلمين حيثما رحلوا طوروا فيه الأسلوب الذي يبنى على أوضاعه الجغرافية والقيم الحضارية الأخرى ولذلك أصبح هذا الأسلوب بديعا من نوعه.

وعلى الرغم من المعتقدات والتقاليد المضادة فما بناه مسلمو الهند من مبانيهم بعون من الحكام المحلي والبنائين الأهليين غير متجاوزين الأصول المعيارية لصناعة العمارة الإسلامية، عمل تذكاري ذو شأن عظيم لتزيد هذا الموقف من أنما خلقه المسلمون من صناعة العمارة في الهند ينبغي لها أن تسمّى "صناعة العمارة

الهندية – الإسلامية"[4]. فقد كان من خصائص المسلمين أنهم لم يشغلوا بإظهار الخصائص التي بسببها العمق الديني أو الجغرافي أو المحلي[5]. وحينما سكن الباقون المسلمون في أراضي الهند قد أثبتوا جدارة في أخذ أسلوب سكانها الأهالي مثلما فعلوه من البلاد والدول[6]. ولذلك برزت إلى حيز الوجود أساليب عديدة محلية بارزة لصناعة العمارة الهندية – الإسلامية ولو أن أيدي الموسم والوقت الظالمة قد أبهتت هذه الأساليب المتلونة ولكن الجنس الفني فيها جلي إلى حد يعود البصر منه حسيرا. والشيء الذي يؤثر أكثر بعد طرح النظر العميق في كافة أساليب الفن المعماري الهندي – الإسلامي هو كيف تم بناء عمارات أصبحت نموذجا حسنا لذوق الجمال، بواسطة العامل التقليدي بعد ما عرفوا التكنيك الأجنبي وبرعوا فيها فأظهروا أهدافهم الجديدة لإقامة التطابق بين الأهداف الحديثة والأسلوب الجديد والأوضاع الموسمية الحديثة وبين التقاليد الأهلية هي العمل الابتكاري البديع وقد عينت الحضارة الهندية – الإسلامية سبلا لإظهار فيما بين هذه الصور للتطبيق[7].

والمبنى المهم الأول الذي تم بعد ورود الأتراك في الهند هو مسجد "قوة الإسلام". ليس لبناء هذا المسجد أي تاريخ معين ولو أنه تم بناؤه في ١١٩٩م ولكنه بقي متطورا ومتغيرا حتى عصر السلطان فيروز شاه تغلق الذي قام بتغيير في المنازل العالية لمنارة المسجد الشهيرة. استخدمت فيه أجزاء معبد الجين فكانت العمد جينية

(دلهي) كما هو السقف خشبي ويمكن أن يتم حذف المبنى الذي ظهر من مثل هذه الأجزاء والأساليب ولكن لا يمكن أن يطمئن ذوق الجمال فلا يمكن جذب الحسن والجمال الذي يجبر الناظر على الاعتراف والإقرار فمن الممكن أنه قد أحسّ المسلمون بأنه نموذج من نماذج المعابد الوثنية ولذلك ضم إليه جزء زاده منزلة وشأنا وعلامة ودليلاً على إسلاميته فتم بناء قسر ذي سلسلة من القوس في الجانب الغربي من الفناء إلا أن بنائيه كانوا هندوسا فبنوا هذه المحاريب بأسلوب يشبه بناء قبب معابدهم الوثنية[٨] والمحراب المركزي الذي يقع فيما بين هذه الأقواس يجدر بالنظر إليه فيبدو من هذا المحراب ذي العمد أنه قد قفز من السرور ولا تجد أمثلة هذا النمط إلا قليلا والآيات القرآنية التي تحيط بالمحراب بين الحواشي المبنية على الأنواع الهندوسية تبدو كأنها تضاهي بالسماء رفعة وعلواً. والمحاولة للتطابق بين الخط العربي والصور الهندوسية في بداية العصر تجدر بالثناء عليها ويمكن أنه قد أصرّ البناءون الهندوس على بناء هذه المحاريب حسب الأساليب التقليدية عندهم ويمكن أنه لم يكن بدّ للمسلمين من أن يعترفوا بما يقول هؤلاء بما أنهم كانوا يفقدون البنائين المسلمين إلا أن البنائين الهنود قد أيقنوا بأن عليهم أن يختلقوا أنواعا حديثة للأهداف الحديثة ولما إصرارهم على أساليبهم القديمة فجاء لأن خلق شيء يتطلب وقتا طويلا وليس لكل من الناس أن يعرضوا أنفسهم للخطر. ومسجد أجمير (Ajmer)

الذي يسمى "كوخ يومين ونصف" قد تم بناؤه على هذا المنوال فقد رتبت الأعمدة والسواري من جديد حسب المشروع الجديد لكي تلقى خريطة المسجد نهاية الإقرار وبعد ذلك تقرر بناء سلسلة من الجذوع على جانب الفناء الغربي ويمكن أنه قد خشي المسلمون من تجربة هذين المثالين إلى حد أن البناء الهندي يجدر بإقامة التطابق بين المتطلبات الجدد والحلم الهندي وفن النحت. ومنارة قطب التي تقع على جنوب شرق "مسجد قوت الإسلام" دليل على أن البناء الهندي قد فاز إلى حد بعيد في فهم أهداف ملوكه المسلمين.. لم يكن يحمل ذلك الهدف الذي يوجد لدى بناء منارة أو مأذنة أي مسجد، وراء بناء منارة قطب ولو أن المؤذن كان يرفع صوته من المنزلة الأولى لهذه المنارة ويمكن أن يكون هذا أحد الأهداف وراء بنائها ولكن في الواقع كانت هي علامة تذكارية لفتح المسلمين وسيطرتهم على الهند، يمكن للهندوس أن يقطنوا لها خير الفطانة[9] ولكن البنائين الهندوس والمقترحين قد أعطوا لطا نسائية لهذه العلامة لدى نحتها والمنارة كانت مما ورثها أتراك وسط آسيا. وقد كانت منارات بخارا وغزنة نماذج لفضل بن أبي المعالي ومحمد أميركوه [10] اللذين تم تحت إشرافهما بناء منارة قطب في عصر التتمش فيمكن أن يكون هدف الفاتح وخريطة المبنى بين أيدي البنائين الهندوس ولكن صورتها الحاضرة قد تم تصويرها بعقول المصورين الهندوس الذين ورثوا النحت عن آبائهم[11] فقد أصروا، طبقا لما ورثوه من الأخيلة

والتصورات على إنهاء الأثر الفاقد الصمود ولذلك تبدو المنارة مخروطية"[1] كما هي العادة لدى بناء منارات وسط آسيا"[2] إلا أن بناتها كانوا مهرة في صناعة العمارة أصلا. وأما البناءون الهندوس فقد كانوا بارعين في مجال النحت فاتخذوا منارة قطب كنموذج للشعور اللطيف عن طريق مختلف أساليب النحت ولذلك أصبحت دليلا على الجمال الهندي - الإسلامي على أنها كثيفة جسيمة وقد خفيت كافة جوانب بناء المنارة وأجزائها وراء أستار النحت بحيث أنها صارت نموذجا للنحت بدلا من صيرورتها نموذجا لصناعة العمارة فليست هذه المنارة كما ظننا موجودها طبقا للصورة والمعنى فقد أراد الأتراك أن يبنوها علامة للشوكة والثبات كما يبدو من علوّها ورفعة منازلها ولكن البناء الهندوسي قد أثر فيها"[3] فكأنه قال إن الشوكة والثبات تحق بهما ولكن أعطيها جمالا وحسنا يعترف كل ناظر لها بأن الجمال هو القوة الوحيدة التي تبقى للأبد"[4] وأما السيطرة فهي ظل زائل.

قام التتمش بتوسيع مسجد "قوة الإسلام" وبإقامة سلسلة من الأقواس على جانبي مقصورة المسجد الأول ويشعر من صور المحاريب ونقوشها بأن المسلمين قد جعلوا يُصرُّون على أشكالهم التقليدية في النحت بدلا من الأشكال الهندية الفطرية ولكن المحاريب قد تم بناؤها حسب أصول الهند فهناك مقبرة خلف شمال غربي المسجد الموسع تعزى إلى التتمش (ت ١٢٣٥م) وهذه حجرة ضيقة

وهي خير نموذج لما استخدمه المسلمون لأهدافهم من التصوير الهندي في دلهي القديمة ولو أن البنائين الهندوس قد أبدوا جهلهم عن إعمال التكنيك الحديث ولكنها مبنى جميل للغاية^{٦١} وعلى أنها نموذج فاقد النظير لحسن البناء، تتميز هذه المقبرة بأنها أقدم مقابر الهند.

ونظراً لاختلاف الحضارة الهندية عن الحضارة الإسلامية، يُهمُّنا بعد قيام حكومة الأتراك بمدة قليلة قليلة جداً أن البنائين الهندوس قد وطّنوا أنفسهم لإيفاء نيّات الحكام الجدد فقد فقدت أسرة حكامهم القديمة في مجال السياسة والحكم ولم يتأملوا شيئاً في قبول إشراف هؤلاء الحكام الجدد مع أنهم أمالوا أذهان هؤلاء الأمراء الجدد إلى الاعتراف ببعض أجزاء صناعتهم بكل جرأة وشجاعة وبسالة. وفي الجانب السياسي قد واجه السلاطين الأتراك مشكلة ومشقة في تذليل الحكام من عشيرة الراجبوت(Rajput) كما أنفقوا وقتاً طويلاً ولكنه حينما أقاموا حكومتهم جعلوا يبحثون عن قيم الحضارة الهندية التي كان بوسعهم أن يختاروها بدون إنكارهم بالأصول الإسلامية الأساسية المعترف بها. وهذا مما يجدر بالنظر فيه أنهم فوّضوا مساجدهم ومقابرهم التي هي دينية إلى البنائين الهندوس لهذا الأمر الاجتماعي وراقبوا عليها من بعيد كي يكون البناءون أحراراً في الفكر والعمل في أداء عملهم الاجتماعي المقرر. وهكذا فقد أظهر مسلمو الهند من البداية حريتهم في صناعة العمارة بالنسبة لغيرها من مجالات الحياة لإبرازهم في الأوضاع

الجديدة والغريبة على كافة المرافق الدينية والاجتماعية وهكذا لقد قدموا في صورة الهندسة المعمارية ما عجزوا عنه في صورة النثر وجاءوا بأسلوب أحسن بحيث أنه تجلب العصبية وتميز بصفته الخاصة، صناعة العمارة الهندية – الإسلامية"[٢٢].

وبعد نحو مدة قرن وأحد قام السلطان علاء الدين الخلجي بتوسيع نطاق مسجد "قوت الإسلام". وهذا واضح للغاية أن هذه الخطوة قد اتخذت لازدياد في عدد العمران وعلاوة على طول وعرض المسجد قد أمر السلطان علاء الدين الخلجي ببناء باب داخلي في جنوب المسجد، سماه بـ" الباب العلائي" هذا تذكار بعروج العصر الذي تعلم فيه البناؤون الهنود كيف يستخدم براعتهم في البناء والتصوير حسب حاجيات الحكام الخارجين. قد أدلى برأيه المترجم الشهير المولوي السيد الهاشمي الفريد آبادي الذي قام بترجمة الكتاب الشهير الذي ألفه جيمس فرغسن (James Ferguson) (تم طبع ونشر هذه الترجمة في ١٩٣٢م) في ترجمته هذه على هذه الفكرة المركزية في الهامش وهو يستحق النظر فيه لأننا سنرى أنه تمت محاولة واعية للكشف عن غطاء الخلاف والتضاد في الحضارة الهندوسية والإسلامية في النظام الاستعماري ولاحتج مع وجود كافة الأوراق والأسناد والشهادات والدلائل بأن المسلمين ما زالوا واضعين أنفسهم بعيدين وأحرارا عن الأثر الهندوسي. ليقرأ رأي المولوي السيد الهاشمي الآتي:

" والمفروضة التي يمتلكها فرغسن بأن بنائي ومصوري هذه المباني كانوا هندوسا ولا غير ..... ويجدر بنا في هذا الموضع أن نشير إلى أن كافة كتابات المؤلف المذكور تبنى على هذه الفكرة الباطلة أن المباني الإسلامية قد بقيت متأثرة بالآثار الهندوسية منذ فجر بناءها والحال إن هذه الفكرة ضد حقائق التاريخ وملامح البداهة فقد كان المسلمون الحديثو العهد بالورود لا يزنون الهند شيئا في البداية وثقافتهم البدائية ومعيشتهم المبكرة حرة عن الآثار الهندية وكلما بنوه في هذا العصر من المباني والعمارات كانت إسلامية بحتة ومميزة بسمتها وثباتها إلا أنهم يختاروا الألوان الهندوسية كلما تقدموا وأنسوا حتى أن مبانيهم التي تم بناءها فيما بعد قد أصبحت نموذجا للعرض والزينة"[8]

كنا بوسع أن نصرف النظر عن هذا الرأي ولكننا ذكرناه هنا لمجرد أن كل فكرة إجتماعية تميل إلى متطلبات عصرها وتمتلك فكرة عرض التاريخ حسب مقتضياتهم وإن رأينا في ضوء النظرية الإيجابية فيظهر لنا عدم التميز بين المجتمع الهندوسي والمجتمع الإسلامي في الحياة الإجتماعية التي عاشها العصور المتوسطة. يوضح هذا الموقف صناعة العمارة.

وللأسلوب والجمال الخارجين دور بارز في بناء وتزيين الباب العلائي ولكنه مع ذلك يبدو أن المصورين والبنائين الهندوس قد برعوا في أساليب الزينة الأجنبية والجهة المخروطية المدوّرة التي لم يبنائها الهندوس، قد عرفت أسلوبا جديدا للزينة للهندسة المعمارية التركية السالفة القديمة. وعلاوة على هذه فالمحراب

الحقيقي تبدو صورته في هذا المبنى مرة أولى" وكما قال فرغسن "إن هذا المبنى يقدّم نهاية كمال صناعة العمارة الخاتية. لم يتم مثل هذا من قبل ولا أرادوا بعده أن يبنوا مثل هذه العمارة المزينة الجذابة"" ونظرا للأريكة البارزة لكرسي الباب العلائي قال البروفيسور محمد مجيب إن البناء كان يختار جزءا من صناعة عمارة المعبد الهندوسي لهدفه الداخلي". ويسمى الباب العلائي بالقبلة المودعة لصناعة العمارة وفن النحت". ومرة أخرى قد اتصل الفنان في هوجرات(Gujrat) ولكن قبل هذا البروز قد ظهر إلى حيز الوجود مقبرة السلطان غياث الدين تغلق الساذجة والجذابة في دلهي.

يبدو بعد موت السلطان علاء الدين الخلجي في ١٣١٦م أنه قد وقع تغير في طبائع بنائي عصر تغلق والسادات فتظهر سذاجة تامة في النقوش مبان تمت حتى عصر شير شاه ١٥٣٩م ولعل هذه السذاجة كانت بروز رد فعل ضد الفطر الناشيء في تشتت شمل السياسة والمجتمع ويُفْهِمنا هذا التغير تاريخيا بأن المسلمين بدأوا بفعاليات البناء حسب الأصول المروّجة في الإسلام احترازا من الآثار الهندية فالمحاريب التي تم بناءها في عصر تغلق محاريب تامة بعيدة عن التقاليد في أجزائها". ومنذ ذلك الحين قد أبتكيت ميزة صناعة العمارة الهندية ـ الإسلامية على أسس أكثر ثباتا وقرارا ولكن هذا صحيح أن المسلمين قد اختاروا الأجزاء الهندية في مقابرهم ومساجدهم متجنبين عن المشقة والجهد الجهيد وخلقوا زينة

جديدة في معظم مبانيهم ومعظم هذه المباني المركبة من الأساليب الهندية والإسلامية قائمة على أربعة عمد فقط وبنيت عليها قبب صغيرة للغاية. إنهم إختاروا أسلوب بناء ذي إثني عشر بابا (Barahdwaries) لدى أصحاب الجينية (Jainism). إنهم كانوا يفعلون هكذا في المباني المفتوحة من كافة الجوانب والتي كانت سهلة البناء في القبب بما أنها كانت ثقيلة التكوير[١١]. وكلما عمّر المسلمون أماكنَ عمّرها الهندوس والجينيون والبوذيون من قبل وكانت هي مراكز لثقافاتهم إختاروا فيها نماذج مركبة هكذا بدون ضم الأجزاء الإسلامية إلى الأسلوب الهندي وهكذا اختاروا الأسلوب المحلي بدون القضاء على ميزاتهم وخصائصهم.

وما طرأ على القالب السياسي والاجتماعي بعد السلطان علاء الدين الخلجي يسهل النظر إليه في أساليب بناء المساجد في عصر تغلق. فيبدو الشعور بالصيانة والحماسة من الجدران والأسوار الطويلة والثابتة لتلك المساجد (مثل مسجد بيغم بوري (Begumpuri) والمسجد الكبير وغيرهما) إن هذه المساجد تبرز كقلعة بادي ذي بدء.

وقد لمحت أسباب الهندوسية في مباني القرنين المسيحيين، الرابع عشر والخامس عشر وبرز حبُّ الإسلام للمذلجة ولكن هذه المذلجة[١٢] لم تبق فيما بعد كما هو ظاهر من الزينة المبالغة في عصر شير شاه فقد جعلت المساجد تُزيّن وتُحسّن بقطع المرمر

ونماذج النحت الجميل في هذا العصر[٦١] وهناك تجد في فجر هذا العصر كافة أساليب الزينة واللطائف التي يختص بها صناعة العمارة الهندية ولكن تم الإلتفات إلى اللطافة الأولى والتزيين الجزئي في نهاية هذا العصر[٦٢].

وحينما ضعفت السيطرة المركزية في عهد السلاطين قامت الحكومات الولائية فوجدت أساليب عديدة في صناعة العمارة بالنسبة إلى تلك المناطق. ومن خصائص صناعة عمارة جونفور (Jaunpur) وغوجرات وبنغال (Bengal) أنه قد تمت محاولة لخلق أسلوب جديد للعمارة مختلف تماما عن أسلوب دلهي المركزي. وهذا بديهي أن سلاطين تلك المناطق والولايات قد حاولوا لإخلاد شخصياتهم الحرة عند الحصول على الاستقلال ولذلك فقد خالفوا أسلوب المركز وأرسوا أسسهم في حضارات وثقافات محلية لكي يثبتوا حكوماتهم ويقرّوا استقلالهم ويتمّوا إبداعاتهم وإنجازاتهم في ضوء أجزاء تلك المناطق حسب وجهاتهم للنظر عن قيم حضارتها. المساجد جونفور بما فيها مسجد أتالة (Atalah) والمسجد الجامع نصفها هندي في الأسلوب البنائي إلا أن الأبواب إسلامية في الطراز. يبدو من هذه المباني ما حاولوه لإثبات وجودهم ولكن هذا الإبراز في البناء ليس بفحش بل هو جذب خلاب وهناك مساجد ومقابر عديدة في جونفور، تم تركيبها من الأجزاء الهندية والمحلية وهي دالة على الحضارة المحلية.

وكل ما اختارته صناعة العمارة الهندية- الإسلامية من الصور المختلفة في الهند أحسنها وأجملها صورة أحمد آباد (Ahmedabad) [٢٨] فإنك تقدر على الشعور بالآثار الهندوسية أو الجينية في مبانيها، مسجداً كان أو مقبرة، حتى النهاية ولو تم استخدام المحراب كآية إسلامية ولكن الطراز الذي إختاروه لمبانيهم لم يحتج إلى المحاريب. والواقع أن المملكة الهندوسية في غوجرات قد بلغت أوج الحضارة وأبرزهم ببناء عماراتهم ولا تنس كذلك أن مؤسس السلطنة كان حديث العهد بالإسلام وبالتالي فقد شاب أسلوب بنائها سعة الخيال الخاصة التي لم يبلغها الهندوس حتى الآن مع أنها كانت تشمل نفاسة وجلاء الهندسة المعمارية الجينية أو التشالوكية (Chalukian) [٢٩] . وسعة الخيال هذه هي من أهم خصائص طراز ولاية غوجرات المحلي والطرق التي اختاروها لإيجاد الرفعة للحصول على النور والهواء هي هدية غوجرات للهندسة المعمارية الهندية- الإسلامية. ومن أهم أعمال المسلمين التذكارية منارات تفوق منارات مراكز الحضارة الإسلامية في حسن البناء ولطافته [٣٠] قد غلب المقابرَ الأسلوبُ الهندي ولما إستعمال المحراب فهو يأتي حسب الحاجة المعمارية فقط وهكذا تم إستخدام المزيد العمودي مع إفريز الحائط لكي يزداد المسجد جمالا بحتّاً ولكن سعة خيال مسلمي غوجرات قد تحملتها ولم تتكر بها.

ولما مباني مالوه(Malwa) فهي يغلبها طراز دلهي إلا أن أشكالها وصورها متنوعة. ومن أهم أمثلتها أشرفي محل (القصر

الجليهات) وجهاز محل (القصر الطائرة) وهندولا محل (قصر هند ولا) والسبب الأصيل وراء عموم طراز دلهي هنا فقدان تقليد صناعة العمارة المحلية ولكنه رمي بدع المباني المميز لدى خيار الطراز المركزي لكي يبقى الأمن المحلي ولا تشتت شمل نظام المنطقة.

وفي بنغال قد استمرت تقاليد بناء المباني باللبنة منذ عصر سحيق وطراز البناء الذي برز إلى حيز الوجود بعد استقلال المسلمين بالحكم يختص بها وحينما لم يجدوا أي لحام سوى اللبنة استخدموا المحاريب لثبات المباني الواسعة (المساجد والمقابر) وهذا الطراز البنغالي الغربي هو نموذج وحيد للبنة في الهند يمتلك خصوصية محلية تجذب إليها النظر " لقد تطور وضع المحاريب ذات الأطراف هنا ومع هذا فقد أوجد البناءون البنغاليون قالبا جديدا للسقوف، بقي أثره حتى يومنا هذا وهذا القالب هو السقوف الكروية التي تمد ضد شدة جريان الماء في المناطق التي يكثر فيها نزول المطر. عم هذا الأسلوبُ الهندوس والمسلمين على السواء.

وكذلك تم إيصال البنائين الهنود في الدكن (Deccan)، غلبرغة وبيجابور (Bejapur) وقولكنده (Gollunda)، حسب أصول صناعة العمارة الإسلامية. والعمل التذكاري البارز لصناعة العمارة الهندية- الإسلامية في الدكن هو التكنيك الثالث لوضع القبب الكبيرة على الحجرة الوسيعة. ثم تدخل عصر المغول ولكن هذا العصر

يتميز عن سائر العصور المتوسطة من كل جانب بحيث إنه يقتضي بابا مستقلا بالذكر ولو أنه قد أدلوا بهذا الرأي أن شير شاه قد دل أكبر في قسم صناعة العمارة بجانب الإدارة على طريق سلكها هذه السلاطين المغولية وبلغوا بها درجة الكمال. ولا شك أن أسلوب عمارة شير شاه ثبت نموذجا للمغول في هذا المجال إلا أن المغول نالوا الفضل والأهمية وطوّروا ما قد وجدوه عن أسلافهم في هذا الشأن.

إن فلسفة أكبر لمصانعة الجميع قد ثبتت كأصل هادٍ ودليل قوي على مبانيه كما ثبت شعور السلاطين التيموريين بالجمال كروح سارية لمباني شاه جهان ومباني هذين السلطانين المغوليين يختلف بعضهما عن بعض في اللون والقالب إلى حد يظن أحدنا أن بينهما بعد القرون. فقد حدثت تبدلات مميزة في كافة أهم أجزاء الهندسة المعمارية، القبة والمحراب والمنارة وغيرها، في عصر المغول. ومن أهم الأسباب وراء هذه الثورة ما ورثه المغول من تطور صناعة العمارة في وسط آسيا تحت إشراف السلاطين التيموريين وطلب شاه جهان أبرز بنائي هذه البلاد لورود الهند ومثلا أنه قد اشترك عدد وافر من بنائي وسط آسيا وإيران ببنائي التاج محل كما ساهموا في إعداد كافة الأجزاء.

ولكنه حينما ننظر إلى هذا المبنى بأسره فيبدو هندي بحت. قد تمت إعارة المثل العليا من مختلف الحضارات المحلية في مباني

السلطان أكبر لا سيما سلسلة مباني فتح بور السيكري (Fatehpur Sikri) ولا نجد هذا الارتباط بين الفكرة والعمل إلا لدى أكبر فهو مركز مثل هذه اللمحات عن الجمال.

وما قدمنا من استعراض بسيط عن أشياء مهمة أجدرها بالذكر بروز أخيلة الرفعة والسعة في أسلوب عمارة الهند بسبب أهداف مباني المسلمين التي ارتبطت بحضارتهم الإسلامية وما تجد من لمحات سعة القلب في الآداب تجده حيا في صناعة العمارة الهندية- الإسلامية فقد حل المسلمون عن عقد قضية السقف للحجرة الواسعة بيده بناء القبة وتطويره. هذا عمل ابتكاري يتمتع بفضيلة على حدة وكذلك أمان المحراب الواسع للقبة والمحراب الواسع المبني كما أثبتناه والمنارات قد حفظت التوازن في المبنى الواسع في خلق القبة وقد زين السقف الواسع للقبة والمحراب الواسع المبني كما أثبتناه والمنارات قد حفظت التوازن في المبنى الواسع. وعلاوة على ذلك فقد أثر المسلمون عملا ابتكاريا مهما وهو إستعمار الأحياء الجديدة الذي تركه أهالي عهد غوبتا (Gupta) على مستوى واسع وأحيوا الفنون والصناعات الهندية التي كادت أن تفنى لفناء أصحابها واستخدموا لهذا الهدف أجزاء هذه الفنون والصناعات وأحاطتها بحيث أن نالوا الهدف وزادوا الجمال وأبقوا العقيدة والأصول. هذا ما أعطاه صناعة العمارة الهندية-الإسلامية.

وللكشف عن الصورة التي تختارها صناعة العمارة بعد مزجها بالعقيدة إقرأ التتمة الآتية:

إن صناعة العمارة وثيقة اجتماعية ويجدر بنا في هذا الباب دراسة تطور مقابر دلهي وكلمة "التطور" تناسبنا بما أن هذه المقابر لا تمتلك أي تاريخ بل استمر التغيير في مقابر دلهي الشهيرة حتى نهاية عصر المغول والأولياء الذين دفنوا في هذه المقابر قد بعدوا أنفسهم عن البلاط ولكن مقابرهم أصبحت فيما بعد، مركز إشراف البلاط. ومن الواقع أن أخلاف الصوفية الكرام قد اعترفوا بالتوافق بين حياتهم الفردية والحياة البلاطية أو الحياة الدنيوية ولعل التوافق بين المقابر والبلاط قد عمم سياسة المصالحة مع البلاط.

ثم الالتفات إلى بناء المقابر حينما كانت الحكومة ثابتة كما لم يترك هذا التقليد بعد ضيق نطاق الحكومة في المناطق من القلعة الحمراء إلى بالم(Palam) ولا حاجة إلى تذكير قصة تطور المقابر لأنك تجد تفصيلها في كتاب "آثار الصناديد" وكتاب "واقعات دار الحكومت دلهي (حوادث العاصمة دلهي) " إلا ذكر بعض المقابر التي قد مرت بعصر التطور وهي موجودة حتى الآن وهي مقابر السيد قطب والشيخ نظام الدين أولياء والسيد تشراغ الدهلوي. والإشراف على المقابر زمن الثبات دليل على أنها كانت وسيلة للارتباط مع العامة ولما انحطت الحكومة بقيت هي تسلي أرواح الناس الذين لا يجدون شيئاً من السلاطين المغول.

وعلاوة على مقابر دلهي القديمة فقد قام الحكام المحليون ببناء مقابر الصوفية المعاصرين في مراكز مناطقهم الروحية في القرن الثامن عشر المسيحي وهكذا عمّ أسلوب القبة والمنارة

والمحراب في مختلف المناطق وازدادت أهمية وشهرة المقابر بإشراف الحكام المحليين المخلصين حتى أن سلاطين المغول قد عدوا تقديم النذور إليها وسيلة لسعادتهم وبركتهم.

وصرفا عن المقابر فتقدم السدود والجسور التي بناها السلاطين في دلهي وثيقة اجتماعية مع إشارتها إلى تطورها في هدفها وأسلوبها ونذكر هنا سدي "ست بله" (Sat Pula) و"بولي بهتياري" (Boli Bhatiyari).

"ست بله" سد من السدود، تم بناءه بأمر من السلطان محمد عادل تغلق شاه. نظم به السلطان جمع المياه من المناطق القاصية. بنى سبعة أبواب كجسور في موضع الجداول وعلى هذا فقد سمي بهذا الاسم. يقول خير الدين أحمد الدهلوي صاحب كتاب "واقعات دار الحكومت دهلي" (أحداث العاصمة دلهي، تم طبعه في ١٩١٩م) كانت تروى كافة الحقول بهذه المياه وكان الإقطاعيون يستفيدون كثيرا [1] " وبالجملة فبناء هذا السد كان جمع المياه لحاجات الحياة وقسمتها المستمرة بين الناس ولكن هذا السد قد أصبح موضعا مقدسا كما هي العادة في الهند بأنهم يعبدون مظاهر الفطرة وما يستفيدون به والبئر التي بنيت قريبا من تلك الجسور قد صارت مكانا معظما ولو أن تلك البئر لم تبق منذ مدة مديدة ولكنهم جمعوا المياه في حفرة حفروها وغسلوا بها المرضى كتبرك بها وحملوها إلى المواضع البعيدة للغاية. كانوا يجتمعون في شهر كارتيك (سابع

شهر تقويم الهندوس المصادف لشهر ما بين أكتوبر ونوفمبر) قريباً من موسم الديوالي(Diwali) وكان كافة الناس، ذكراً وأنثى وطفلاً، يزورونها للإغتسال فيها كي يصونوا أنفسهم من الجن والبلايا الروحية. ويروى أن الصوفي الشهير روشن تشراغ الدهلوي قد توضأ بها ولذلك فقد اعتبروها مباركة.

وقيل هذا أو قريب من هذا حدث من سد "بولي بهثياري". يعزى بناءه إلى فيروز شاه تغلق. كان الهدف وراء هذا السد ما نفهم جلياً إلا أن هذا المصدر قد أصبح متبركاً كسابقه وروي أن المكان الضيق الذي بني عليه كان مسكناً لبو علي خان بهتي ومنذ ذلك اشتهر باسم "قصر بولي بهثياري" يجتمع عليه الناس في موسم الأمطار كما كان البراهمة يرون مجرى الرياح بعصا كانوا يضعونها عليه ويعلمون بها سعادة وشقاوة الموسم.

وضم هذه التتمة إلى المقال ليس إلا لكي نرى أن هناك نماذج من العمارات، كانت هادفة إلى فوائد العامة ولكنها صارت متبركة ومقدسة لروايات نسبت إليها وصيرورة المباني التي قام ببنائها المسلمون مواضع مقدسة لدى الهندوس لا يمكن إلا في جو يسع التشابه والتماثل فإن كان المسلمون يطوّرون بناء السدود والجسور طبقاً للفوائد العامة فقد تأثر الهندوس بهذه الإفادية وجعلوها مواضع مقدسة. هذا مثال واحد للكشف عن صور التماثل والتشابه.

الهوامش:

١- محمد مجيب: دي انڈين مسلمس (The Indian Muslims) (مسلمو الهند) بلندن، ١٩٦٧، ص ١٨٤

٢- المصدر نفسه، ص ١٨٥

٣- وولزلي هيغ: كيمبرج هستري أف انديا (Cambridge History of India) (تاريخ كيمبرج للهند) ١٩٦٥، الباب :٢٣

٤- دي انڈين مسلمس، ص ١٨٤

٥- ارنست ثاكهيلم رتشمند: إسلامي فن تعمير (صناعة العمارة الإسلامية)، ترجمة: سيد مبارز الدين رفعت، بدلهي، ١٩٩٢، ص ١٨

٦- جيمس فرغسن: إسلامي فن تعمير هندوستان مين (صناعة العمارة الإسلامية في الهند)، ترجمة: المولوي سيد الهاشمي الفريد آبادي، بحيدر آباد، ١٩٣٢، ص ٤

٧- دي انڈين مسلمس، ص ١٨٦

٨- إسلامي فن تعمير هندوستان مين، ص ٢٦

٩- المصدر نفسه، ص ٢٩

١٠- محمد مجيب: إسلامك انفلوينس أن انڈين سوسايتي (Islamic Influence on Indian Society) (أثر الإسلام في المجتمع الهندي)، بدلهي ١٩٧٢، ص ١٢٢-١٢٣

١١- المصدر نفسه، ص ١٢٣

١٢- المصدر نفسه، ص ١٢٣

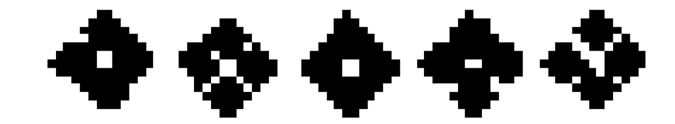
١٣- المصدر نفسه، ص ١٢٢

١٤- المصدر نفسه، ص ١٢٤

١٥- المصدر نفسه، ص ١٢٤

١٦- إسلامي فن تعمير هندوستان مين، ص ٣٣

17- المصدر نفسه، ص 34
18- المصدر نفسه، ص 34 (الهامش)
19- الدكتور ب ن تشوبرا: هندوستان كا غزيتر (الغيار الهند)، بدلهي، 1973، ج 2، ص 472
20- إسلامي فن تعمير هندوستان مين، ص 34-35
21- إسلامك الفلونيشن فن الدين سوبمانتي، ص 125
22- المصدر نفسه، ص 126
23- إسلامي فن تعمير هندوستان مين، ص 41
24- المصدر نفسه، ص 41
25- المصدر نفسه، ص45
26- المصدر نفسه، ص 46
27- المصدر نفسه، ص 48
28- المصدر نفسه، ص 59
29- المصدر نفسه، ص 60
30- المصدر نفسه، ص 68
31- المصدر نفسه، ص 67 ـ 80
32- واقعات دار الحكومت دلهي 1919، ج 3، ص 103



أهمية مولانا أبو الكلام آزاد في هند اليوم

تحرير: راج بهادر كور*
ترجمة: شميم بن إرشاد الأعظمي**

لا ريب في أن مولانا أبو الكلام آزاد كان شخصية بارزة كبرى، فقد كانت له اليد الطولى في كافة المجالات العلمية والفنية من مثل الدين والسياسة والصحافة والخطابة والأدب والموسيقى وغيرها من العلوم والفنون ولا نريد هنا أن نناقش خدمته للأدب والصحافة ومنته على اللغة الأردوية فهو قد أعطى الصحافة الأساليب الجديدة والآفاق الحديثة والطرق البديعة ولعله أول صحفي ربط الصحافة بالأدب ولو أنه كان شاعرا مفلقا ولكنه فاق معاصريه في الأدب المنثور وكتاباته المنثورة في الكتب مثل "التذكرة" و"غبار خاطر" والرسائل والجرائد مثل "الهلال" و"البلاغ" نماذج عليا للأدب العالي حتى قال مولانا حسرت موهاني:

* - كاتب هندي كبير
** - كاتب ومترجم وطبيب من مدينة أعظم جره، الهند

"جب سے دیکھی ابو الکلام کی نثر

نظم حسرت میں کچھ مزہ نہ رہا."

- ترجمة: منذ ان رأيت نثر أبي الكلام ضاعت لي حلاوة شعر حسرت.

ولكني انكر في مقالتي جوانب حياته واعماله المجيدة التي لها علاقة وطيدة مع حياتنا السياسية والإجتماعية اليوم فما هو الموروث الذي تركه مولانا آزاد لنا وهو دليل هاد لنا في هذه الأيام.

كان مولانا آزاد مسلما خالصا كاملا إيمانه فإنه كان يفتخر بالإسلام وبما ورثه الإسلام خلال ثلاثة عشر قرنا وهو كان يلتزم به التزاما. ولكنه لا يعتبر الدين سلسلة تصد الإنسان عن الفكر وتعجزه عن حلول القضايا الجديدة التي يواجهها.

وكان مولانا- كما يظهر جليا- يقول بالاجتهاد وبما أن الاعتقاد بالإيمان لازم للاجتهاد فقد كان مولانا يؤمن بالعمل وبما أن الربوبية لا تركد إلى نقطة خاصة ولا تطمئن إلى معلم معلوم وبشملها الرعاية بمتطلبات حديثة للأوضاع المتغيرة والبحث عن إيفائها فكان مولانا يؤكد على التبدل والعمل مؤمنا بأن ربوبية الله تهزه ويعلم هو عن اختلاف الدين والفلسفة علم الشاعر الإسلامي العلامة إقبال عن اختلاف العشق والعقل وكلاهما يبحثان عن طريقهما من بين هذا النزاع.

ومولانا خبير بأن الفلسفة تفتح باب الريب ثم لا تستطيع إغلاقه وأما العلوم فهي توفر الدلائل والبراهين ولكنها لا تقدر على تفهيم العقيدة. والدين يعطي الاعتقاد ولكنه لا يعطي الدلائل والحجج.

ويرى مولانا أن التكلف بالعقيدة لازم لهز عاطفة "العمل" فلا بد لإتمام الحياة وإيفاء كافة متطلباتها من أشياء لا يمكن إثباتها ويلزم الإيمان بها وهذا هو التصور الذي قدمه الشاعر العلامة إقبال في هذه الكلمات:

"اچها هــ دل كــ پاس رهــــ پاسبان عقل

ليكن كبهي كبهي اســ تنها بهي چهور ديــ"

ترجمة: نعتقد بأن صحبة حارس العقل مع القلب ضرورية ولكن ينبغي أن يترك سدى لبعض الأحيان.

وكلاهما يرجع مباشرة للعشق على نقيد العقل بما أنه عشق ثابت يتولد من العقيدة والإيمان. يعرف مولانا جيداً أنه إذا بدأ بالريب فهو يبلغ موضعاً ينتهي بالإنكار ولكنه إذا ركدت الخطى فالقنوط واليأس يحيطان به وقد مر مولانا بمثل هذه المواضع والمنازل لدى نزاعه الفكري ولكنه لم يتوقف وهو ما كان متعودا على التوقف فالاعتقاد الذي أضاعه بأيدي البحث والتحقيق قد حصل عليه بشيء زائد عليه سالكا سبله وطرقه فهو يقول:

"إلا أن الاعتقاد الذي أضعته كان تقليديا والاعتقاد الذي وجدته كان تحقيقيا" فيزيد مولانا البحث والاجتهاد لدى النزاع الدائم بين التقليد والتحقيق والركود والاجتهاد.

لا شك في أن مولانا آزاد كان متديناً ولكنه كان يتنفس في زمان يمتاز بكثرة الأديان وتعددها وما كان النزاع الديني ديدنه فما فسره مولانا من مشتملات سورة الفاتحة في المجلد الأول لتفسيره "ترجمان القرآن" نتيجة لاجتهاده في هذا العصر الحديث.

يعرف مولانا أن تاريخ الدين هو رحلته من كثرة الآلهة وتعددها إلى وحدة الإله الكريم فكانت عبادة الأصنام قد أثارت ثورة كبرى في اليونان والعرب والهند ولما جاء تصور التوحيد أبطل هذا الاضطراب وهذا من عمل "آرية سماج" للتكاري أنه كتب عبادة الأصنام بين الهندوس وأثبت تصور إله واحد بواسطة الويدات والصحف الدينية الأخرى، إنه لا يمكن تجسيمه ولا تمثيله في صورة الإنسان.

يقدم مولانا تصور هذا التوحيد إلى مزيد المفاهيم ويحاول أن يعلم أنه إذا كان الإله رب العالمين فلا بد من إله واحد لكافة الكون وإذا هو واحد فما خلقه وحصل عليه من حكم فهو واحد لا شريك له فيه وهكذا لا يشير مولانا إلى وحدة الأديان فحسب بل يوحي إلى وحدة الكون. فقد حاول مولانا أن يفهم هذه الحقيقة في تفسير سورة الفاتحة وجعل الإله الذي انحصر في الذهن محيطاً بالكون كله.

يقدم مولانا وجهة نظر وحدة الأديان ويفوق الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١٧٠٣م) والقاضي ثناء الله العثماني (ت ١٨١٠م)

فقد قال العلامة الدهلوي بوحدة الأديان كما ذكر القاضي ثناء الله العثماني في "تفسير مظهري" أن أصل الهندوس والمسلمين واحد فما جاء من اختلاف في أي مكان فهو مما فعله الشيطان اللعين.

ولكن مولانا آزاد يضع وحدة الأديان كحقيقة أصلية يبني عليها مبنى فكره وهي مذكورة في تفسيره لسورة الفاتحة.

فرق مولانا بين "الملة" و"الأمة" فقد بنى فكرته على إتفاقية عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود الحجاز. تسمى هذه الاتفاقية بـ"إنه أمة واحدة" قال الرسول العربي ليهود الحجاز إن المسلم واليهودي يجوز لهما أن يسلكا في سلك "أمة واحدة" عاكفين على دينهما على أساس المساواة القانونية بعد ما أمنا بالله واحد وبعد مرور سنة واحدة وقع النصارى على هذه الاتفاقية ومن فرق مولانا بين "الأمة" و"الملة" فالأمة عنده كالقوم والملة هي الدين ومن ثم عرف مولانا المفكر:

"كون أحد هندوسيا أو مسلما فكرة داخلية وعقيدة باطنية لا تمت إلى الشئون الخارجية والمعاملة العامة بصلة".

ومن هنا يتم تأسيس "العلمانية" ويفصل الدين عن الدولة والسياسة فالأول فكرة داخلية أو عقيدة شخصية والثاني يتعلق بالشؤون الخارجية والمعاملة فيما بين الناس.

وفي بيئة تعدد الأديان هذه وجد تصور "دار الأمن" فكان المسلمون لا يعلمون إلا عن دولتين إحداهما "دار السلام" التي يعتقد فيها كافة الناس في الإيمان بالله والواحد القهار والأخرى" دار

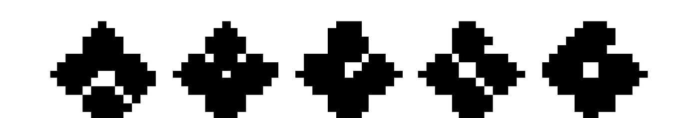
الحرب" التي يوجد فيها نزاع للحكم والسيطرة بين المسلمين وغيرهم من الناس. ولكن الآن يوجد في العالم مجتمع لا بد فيه من عمل الأديان بالبقاء الأمن المشترك وهو "دار الأمن" صورة أخرى لوحدة الأديان.

كان مولانا آزاد مزيدا متحمسا للتضامن بين الهندوس والمسلمين إلى حد أنه قال في خطبة الرئاسة لحزب المؤتمر في ١٥ ديسمبر ١٩٢٣م:

"إذا نزل ملك من غيوم السماء اليوم وأعلن قائما على منارة قطب بأن الحكم الذاتي يمكن احترازه في يوم وليلة على شريطة أن تبرأ الهند من التضامن بين الهندوس والمسلمين فأغادر الحكم الذاتي ولا أغادر هذا فإنه لو حدث وقت طويل في الحصول على الحكم الذاتي لكان هذا خسران الهند ولكنه لو أضعنا التضامن والتعاضد لكان هذا خسران دنيا الناس".

والحاجة إلى تصور التضامن الهندوسي – الإسلامي أو وحدة الأديان أو الأمة الواحدة حاجة لكل مجتمع ودولة يوجد فيها أديان عديدة وهل هناك دولة في العالم، لا يوجد فيها دينان أو أكثر ومن هنا تيسر مولانا يجر الناس من هذا التخصيص إلى ذلك التعميم وهو حاجة الهند هي حاجة العالم البشري كله.

وهذا جانب زاهر من شخصية مولانا المتعددة الجوانب وحتى الآن نحتاج إليه بشدة.



"بريم تشاند" ومساهمته في حركة استقلال الهند

- شكيلة بانو - ليم - غوري خان*

ترجمة : ثمامه فيصل**

لما طلع صباح الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٧م، ذلك الصباح الجميل الذي حمل في طياته كثيرا من الآمال وجاء بعد أن قضى أهل الهند في انتظاره جزءً كبيرا من حياتهم، الصباح الذي بشّر باستقلال الهند بعد ما بُذل في سبيله كثير من الجهود الجبارة والمساعي الدؤوبة، فلما جاء ذلك الصباح تفتحت وجوه هذا الشعب كالأزهار وأشرقت كالنهار وكانت وراء هذا الاستقلال التاريخي قصة كفاح عظيم وطويل.

الهند دولة مترامية الأطراف، ذات تاريخ قديم وعريق، والحرية حق فطري لكل كائن حي. ولو ألقينا نظرة على تاريخ حركة الاستقلال العظيمة في الهند لوجدنا أن هذا هو الحق الفطري

---

*الكاتبة صحفية أردية من الهند

** المترجم طالب في مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

الذي من أجله التقى أهل الهند، من الهندوس والمسلمين، "أنفسهم في نضال الحرية عام ١٨٥٧م بغض النظر عن ديانتهم المختلفة وواجه أبناء الوطن العزيز كافة وأحدة قوة عالمية عظيمة رغم كونهم عزلاء.

وكان من عطايا تلك الفترة ظهور شخصيات جليلة في المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية، ومن خلال كتبهم وخطبهم وضح هؤلاء الأعلام، في ضوء حكمتهم وبصيرتهم السياسية، أهمية الحرية وقيمتها البالغة أمام الشعب الهندي ولم يختلف الأمر في مجال الأدب فكان الأدباء يغرسون الأفكار الثورية في أذهان الناس. وقد قال الكاتب الهندي المعروف آل أحمد سرور: "إن الأدب لا يحدث ثورة بل يعد لها الأذهان ويوجه إليها العقول" واللغة التي ساهم شعراؤها وأدباؤها بإنتاجاتهم الغزيرة مساهمة فعالة في حركة الاستقلال ونفخت روحا وحياة في الثورة بشعارها المعروف "انقلاب زنده باد" (أي عاشت الثورة) ، كانت هي اللغة الأردية. هذا ومن العجيب اليوم محاولة بعض الناس لكتمان هذه الحقيقة وإن الأردية ليست لغة مختصة بالمسلمين فقط بل هي تراث مشترك بين الهندوس والمسلمين وإنها لغة أبطال حركة الاستقلال، وهذا ما أكد عليه الأديب "جاغان ناث آزاد" (Jagannath Azad)حيث قال: "لو قال أحد إن الأردية لغة تخص المسلمين فإنه لم يظلم هذه اللغة فحسب

بل ظلم الهندوس أيضا لأنهم مع المسلمين شاركوا جنبا إلى جنب في تطوير هذه اللغة".

وهذه حقيقة واضحة أن الأردية ولدت في الهند ونشأت وترعرعت في محيطها ولم يكن الأدباء والشعراء المسلمون وحدهم الذين بذلوا جهودهم لتطوير هذه اللغة ، بل الأدباء من غير المسلمين أيضا كانت لهم مساهمات ملموسة في النهوض باللغة الأردية وكان الأديب المعروف "بريم تشاند" بين الكتاب الذين شاركوا في حركة استقلال الهند. إنه كتب قصصا وروايات ممتازة وأغنى الأدب الأردي (والهندي) بأعماله وإنتاجاته الرائعة.

ولد "دهان بات راي" (Dhanpat Roy) المعروف بـ "بريم تشاند" في ١٣ من يوليو عام ١٨٨٠م في قرية قريبة من "بنارس" وبدأ الكتابة باسم "نواب راي" ثم أخذ يكتب باسم "بريم تشاند". وكان عصره عصر الاحتلال البريطاني ففي جانب كان الاستعمار الغاشم جاثما على صدر الهند وفي جانب آخر كانت الرأسمالية تزيد الطين بلة باعتداءاتها على الشعب. ولما شرع بريم تشاند في الكتابة كان الشعب الهندي يواصل جهوده للتخلص من براثن سيطرة الأجانب. فأثار الاحتلال قلقا واضطرابا في قلبه الحساس ولم يقر له قرار فخاض بقلمه معركة عنيفة ضد الاستعمار البريطاني وضد القوى التي كانت تعرقل مساعي توحيد الشعب الهندي واستقلاله. فنجد مشاهد هذا الكفاح في أماكن مختلفة في أعمال بريم تشاند كما

تلمح في أبطال قصصه تطلعات إلى الحرية والجهود المبذولة من أجلها. فنظرا إلى ما كان لإنتاجاته من أهمية بالغة وفوائد كثيرة قال الكاتب الشهير عبد الماجد دريا أبادي: "عندما يكتب المؤرخ بعد خمسين سنة أو أكثر تاريخ حركة استقلال الهند سيكون لزاما عليه دراسة أعمال بريم تشاند بجانب دراسة خطب وكتابات مهاتما غاندي وموتي لال نهرو ومحمد علي جوهر وأبو الكلام آزاد، حتى يستطيع فهم التاريخ الممتد على بضع وثلاثين سنة حق الفهم".

كان بريم تشاند يريد أن ينفخ في الشعب كله روحا جديدة لحرية الوطن واستنار الفكر وكان يتمنى أن يكون تحقيق الحرية هدفه الأساسي، فتعبيرا عن هذه الأمنية قال في موضع: "أود أن أكتب بعض المؤلفات القيمة والكتب المهمة ليكون هدفها الحصول على الحرية".

ولما أصبح من الضروري إثارة عواطف الوطنية بين الشعب، لتجسيد حلم الحرية، أخرج بريم تشاند، نظرا إلى هذه الضرورة، أول مجموعة القصص القصيرة باسم "سوز وطن" (التحرق للوطن) عام ١٩٠٨م وهي مفعمة بعواطف حب الوطن فهزت كيان حكومة الإنجليز الذين صادروا جميع نسخ الكتاب وأصدروا أمرا بإحراقها كما حظروا على المؤلف الكتابة والنشر بدون إذنهم. ولكن هذا المجاهد المقدام المفعم بعواطف الوطنية الذي كان يكتب من قبل باسمه المستعار (نواب راي) بدأ الكتابة باسمه

الحقيقي "بريم تشاند" وككاتب جريء ظل يؤدي مهمته العظيمة، مهمة توعية الشعب. إنه حقا كان ولوعا بالحرية ولم يخف على أحد آرائه بشأن الحرية والاستقلال فكتب في رسالة إلى أحد أصدقائه: "في قلبي هذه الأيام أمنية لا تزال تزداد شدته، وهي أن النجاح ضروري في نضالنا للحرية فلا نطمح إلى المناصب والأموال والمباني والسيارات بل نرضى بكل ما لدينا، وبصفتي كاتبا من الطبيعي أن أتشوق إلى تأليف كتب رائعة ولكن الحصول على الحرية هو الهدف المنشود وراءها فلن ألزم الصمت بل سأصرف كل لحظة وبرهة في خدمة الأدب وحرية الوطن".

ومن أبرز ما يتجلى في إنتاجات بريم تشاند حياته الملونة بالحزن والألم والفقر والمسكنة، وشفقته وعطفه على الفقراء والمساكين، وحبه للوطن، وقلقه الشديد على ما واجه سكان القرى والأرياف من المعاناة، ورغبته في رفع مستوى حياتهم وتحسين أحوالهم، وكراهته تجاه حكومة الإنجليز الغاشمة، وأمنيته أن يتنفس هواء الحرية والاستقلال.

وتصور روايات بريم تشاند وقصصه جوانب مختلفة لحركة الاستقلال تصويرا رائعا وممتازا فالإثارة عواطف الوطنية في الشعب أعرب عنها في قصته "جلوه إيثار" (مظهر الإيثار) على لسان إمرأة تدعو أن يكون لها ولد مقدام لا يتردد حتى في المجازفة بحياته في سبيل تحرير الوطن من أيدي الأجانب فتخاطب إلهتها وتقول:

- "يا إلهتي ! يا أماه ! أعطيني ولدا"

- "هل تريدين ولدا ثريا وقويا يذيع صيته في العالم كله؟" تسألها الإلهة.

- فتجيب الأم: "لا ! بل أعطيني ولدا يخدم الوطن"

(جلوه ايثار – صفحة ١١٠)

ونجد أمنية مماثلة في قصته "جوغان هاستي" (لعبة الحياة) على لسان الملكة "جاهنوري" التي تقول: "يشتاق قلبي أن يهبني ربي ولدا يخاطر بحياته ويضحي بنفسه في خدمة وطنه مثل الشجعان" ("جوغان هاستي" صفحة ٤٦ – ٢٦٣)

وكذلك نجد عندما تخاطب الملكة "جاهنوري" من يذرفون الدموع على ابنها (فيناي) الذي يشرب كأس المنية مقاتلا ومجاهدا في سبيل الوطن. فقالت الملكة بنصح الشبان أن يتعلموا درسا من تضحية (فيناي)، فالدنيا ليست مكانا للأكل والشرب فقط، عقدَ عليكم الشعب آمالا فعليكم إنقاذه من المآزق والمشاكل"

(جوغان هاستي. الجزء الثاني صفحة ٢٦٤).

وتأثر بريم تشاند بالحركات السياسية في البلاد تأثرا بالغا فكان من أتباع مهاتما غاندي وتنبه به شخصيته من بعض النواحي فاستقال عن منصبه الرسمي متأثرا بحركة اللاتعاون لغاندي كما بدأ يتناول في كتبه أفكار غاندي وآرائه التي انعكست في أبطال بعض

قصصه مثل "غوشه عافيت" (مكان أمن) و "ميدان عمل" (ميدان العمل) و "غاؤدان" (صدقة البقرة). ومن خلال قصصه "سوهاغ كى ساري" (ثوب ليلة الزفاف) و "لال ديت" دعم بريم تشاند "حركة اللاتعاون" و "حركة ترك الموالاة" اللتين دشنهما مهاتما غاندي فلقيتا قبولا واسعا إلى حد أن الشعب بدأ استعمال الملابس المصنوعة في البلاد بدل الملابس المستوردة مما أحدث تحولا كبيرا في الأوضاع. وقد وضح بريم تشاند أهمية حركة عدم التشدد من خلال قصته "سمار ياترا" كما يتجلى مما قال بطل القصة حيث تنعكس به فلسفة غاندي "الحركة اللاعنف":

"نحن نقاتل في سبيل الحق والعدل ولن نستخدم إلا أسلحة الحق والعدل فنحتاج أبطالا لا يسيطر عليهم التشدد والغضب".

وبدافع حركات سياسية مختلفة ظهر في البلاد حزبان مع هدف واحد وهو الاستقلال وأيد أحدهما المقاومة بطريقة سلمية والتي عبّر عنها بطل قصة بريم تشاند "سمار ياترا" كما سبق آنفا ولكن الحزب الآخر تكوّن من الثوار المتطرفين فنلاحظ أن بريم تشاند أيضا، لما نفد صبره، أيد اللجوء إلى التشدد في سبيل الحرية على لسان أحد الأبطال في قصته "القاتل" فإليكم هذه الكلمات التي وجهها "دهرم وير" (Dharamvir) إلى أمه: "لن يغادر الإنجليز بلادنا إلا بعد أن يوقنوا بأن بقائهم هنا ولو للحظة قصيرة سيؤدي إلى نهايتهم. وإن قتل اليوم ألف إنجليزي في الهند فيصبح هذا اليوم يوم

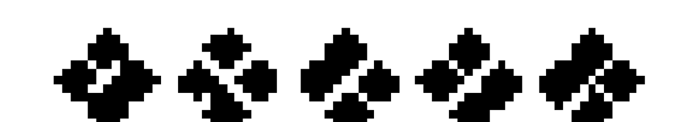
استقلالنا، لأن روسيا لم تتحرر إلا بهذه الطريقة ولم تتحرر أيرلندا إلا بنفس الطريقة ولن تتحرر الهند أيضا إلا بالطريقة نفسها). ثم نلتقي هذا البطل درم وير وهو على أحرّ من الجمر لتحرير وطنه الأم إلى درجة أنه لا يستطيع تحمل أي عرقلة في سبيله وإن كانت تلك العرقلة في شكل والدتها فلن يتردد حتى في قتلها فيقول مخاطبا والدته: (لو اضطررتُ إلى قتلك لحماية الوطن العزيز فلن أتردد حتى في القيام بهذا الواجب العسير، فسيكون سيفي مشهرا عليك بينما تكون عينيّ تذرفان الدموع".

وفي قصته "آدارش ورود" (المعارضة الحقة) يشير بريم تشاند إلى الذين يشاركون في حركة الاستقلال لمصالحهم وأغراضهم الأنانية ثم يغدرون الوطن ويساعدون المحتلين بدافع حبهم في تولي السلطة والحكم. وفي مكان آخر في قصته "انشياته باريباد" (الوطن في دمار) يتحدث عن مشاركة النساء وحماستهن في حركة الاستقلال.

وجملة القول إن قصص بريم تشاند ورواياته تدل دلالة واضحة على مدى علاقته القلبية والذهنية بنضال الحرية فمن خلال إنتاجاته أطلع الناس على جوانب النضال المختلفة ونوّر أذهانهم ونفخ فيهم روح النشاط والعمل مما وسع دائرة الحركة وجعلها أكثر شمولية. وفي النهاية أود أن أقول إن هذا الأديب الأردي العظيم والمجاهد المقدام لحركة الاستقلال فارق الحياة أثناء نشاطاته الجليلة

لتجسيد حلم الحرية عام ١٩٣٦م ولكن إسمه سيبقى خالدا حيا في تاريخ الأدب الأردي إلى أبد الآبدين لما قدمه من خدمات وأعمال حية خالدة.

تمثل حركة الإستقلال مرحلة مهمة من تاريخ بلاد الهند وقد قدمت فيها اللغة الأردية مساهمات ملموسة لامعة و مشرقة وستظل وسيلة مهمة لتذكير طلبة التاريخ بما قدم أسلافهم من التضحيات والخدمات الفكرية والأدبية. ويحتل بريم تشاند في الأدب الأردي نفس المكانة التي يحتلها غوركي(Gorky) ودوستوفيسكي(Dostoevsky) في الأدب الروسي وموبسان(Maupassant) في الأدب الفرنسي وسمرست مام في الأدب الإنجليزي وسيبقى إسمه موضع جلال وعظمة إلى آخر الدهر.



مصنفات أردوية دالة على الحج والعمرة

ـ د. إحسان أحمد*

الحج علامة قوية على مودة العبد وإخلاصه لربه الكريم وإلهه الوحيد فإن العبد الهزيل يتحمل كافة تكاليف السفر ومصائب الارتحال لا لشيء دنيوي عاجل بل لجزاء أخروي آجل وهو رضوان ربه جل مجده الذي هو الفوز المبين والفلاح الكامل التام وبناءً على هذه الأهمية وخطورة العبادة الربانية، اعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم كعبادة فارقة بين المؤمن المسلم واليهودي والنصراني اللذين خرجا عن نطاق الإسلام بعد ظهوره.

هذا وقد كتب المسلمون كثيرا عن أهمية هذه العبادة ووجوبها وكيفية أدائها والوصول إلى مفهومها المراد التام في كافة لغات العالم تقريبا ولكن لا نريد الحصر والإحصاء لهذه الأعمال

* ـ باحث ، قسم المخطوطات، جامعة همدرد، نيودلهي

والآثار بأجمعها إلا التي تم تأليفها في اللغة الأردوية التي هي إحدى اللغات الهندية الحافلة بذكر الإسلام وصاحبه صلى الله عليه وسلم.

والكتب التي تم تأليفها في هذه اللغة تنقسم إلى أنواع عديدة فمنها ما تدلّ على أسلوب أداء الحج بلغة سهلة ومنها ما تتعلق عن أحكامه والقضايا المتعلقة بها ومنها ما تحكي المودة والمحبة المخلصة فقط ومنها ما تتحدث عن الأماكن والشعائر ومنها ما تعطي الأدعية المذكورة لذلك ومنها ما تختص بقضايا النساء فحسب كما يبين معظمها أحكام الرجال والنساء على السواء وبعضها طويل وبعضها وجيز. و بالجملة هذه اللغة تعتزّ بوجود الكتب التي لا تحصى عن الحج وأحكامه وأسلوب أدائه وفيما يلي دراسة وجيزة لأهمها وأفضلها في هذا المجال:

آپ حج كيسے كريں؟ (كيف تحج؟)

هذا دليل كتبه مدير مجلة "الفرقان" العالم الهندي الشهير، الشيخ محمد منظور النعماني، وهو يشمل ٢٠٨ صفحةً. تم طبعه من مكتبة "الفرقان" بلكناؤ. لم يزل هذا الكتاب القيّم دالاً المسافرين على الكعبة الكريمة منذ نصف قرن. استفاد منه العلامة الشهير أبو الحسن علي الحسني الندوي وغيره من علماء الهند الكبار. اعتبره كافة علماء القارة كدليل قيم وكتاب رائع حول موضوع الحج وطريقة أدائه. من خصائصه أن قارئه يضره المودة المخلصة للرب

الجليل والالتفات الكامل إلى بيته وبلد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. أضاف إليه المؤلف فيما بعد مقالين مهمين عن الموضوع، أحدهما "من بيتي إلى بيت ربي" الذي كتبه الشيخ الجليل أبو الحسن الندوي والآخر "أخبار تجدر بالحفظ والتذكر" الذي أثره الشيخ محمد إدريس النغرامي.

آسان حج (الدليل الميسر للحج)

هذا الكتيب الوجيز الذي يحتوي على ٩٦ صفحة فحسب أيضا من مؤلفات الشيخ الجليل محمد منظور النعماني. صنفه العلامة بعد الكتاب المذكور آنفا بسنتين. ذكر المصطلحات والشعائر الدينية بأسلوب وجيز وسهل للغاية. ونظرا لتسهيله وتيسيره، لم يذكر النصوص العربية الصعبة للقراء الأعاجم. ومما يدل على نطاق إذاعته الواسع وطيران صيته في البلاد الهندية أنه تمت ترجمته إلى اللغات الإنجليزية والهندية والغجراتية. طبع من نفس المكتبة المذكورة أعلاها. من مميزاته أنه يحث القارئ في غير موضع منه على التذكر والتضرع أمام الرب الكريم جل مجده.

آسان حج (الدليل الميسر للحج)

هذا الكتيب المحتوي على ٧٠ صفحة من آثار الشخصية البارزة الشيخ محمد عاشق علي الصامي الذي صنف عشرة كتب حول هذا الموضوع وهي فيما يلي:

١. طائر حرم سوى حرم (طائر الحرمين يتوجه إليهما)

٢. رهنماى حج وزيارة (دليل الحج والزيارة)

٣. لبيك

٤. مختصر مناسك حج (مناسك الحج الوجيزة)

٥. دعاى عرفات (دعاء العرفات)

٦. رهبر حرمين شريفين (دليل الحرمين الشريفين)

٧. عمره وحج كا فولدر (ملف العمرة والحج)

٨. مفصل هدايات براى عازمين حج (إرشادات مفصلة لمن يريد الحج)

٩. طائر هند سوى حرم (طائر الهند يطير إلى الحرم الشريف)

١٠. أسان حج (الدليل الميسر للحج)

تم فيه توضيح ٣٠ مصطلحا من الحج بجانب القضايا المتعلقة بالسفر بالطائرة. صدر عن حسامية لباس كهر، المعبر الجديد بحيدرآباد الدكن.

آب حج كيسي كرين مع أحكام حج (كيف تحج مع قضاياه)

هذا الكتاب المشتمل على ١٢٨ صفحة يتحدث عن القضايا المهمة عن الحج والعمرة لأن صاحبه المفتي محمد شفيع رحمه الله

تعالى، كان من أهم وأفضل مفتي القارة وبارعا في الفقه ومذاهبه. يقول المؤلف ذاته عن أهداف هذا الكتاب القيم:

" قام عديد من العلماء الكبار بتأليف مئات من الكتب القيمة المفصلة والوجيزة عن الحج في مختلف اللغات المحلية والوطنية والعالمية. إني أردت بتأليف هذه الرسالة ذكرَ القضايا المتعلقة بالحج والعمرة بلغة سهلة وبأسلوب ميسّر. إني استفدت فيها من كتب ومؤلفات هؤلاء الأفاضل كما أشرت إليها في غير موضع منها"

انهى المؤلف كتابته في عشرة أيام فقط وهذا دليل على سرعة تأليف الشيخ وإيجازه في البيان. أصدره مكتبة نصير في حارة حضرة نظام الدين بدلهي.

معلم الحجاج (مرشد الحجاج)

هذا الكتاب الأردوي مثل "غنية الناسك" بالعربية. صنفه المفتي أحمد بمظاهر علوم بسهارنفور. تناول فيه المؤلف كافة القضايا المتعلقة بالحج بتفصيل فهو تحدث عن أكثر من ألف قضية عن كل ناحية من نواحي الحاج ولم يترك شيئا. ليس كتاب أردوي أكثر تفصيلا من هذا الكتاب القيم. فقد قال عنه العلماء إنه كاف لمن يحمله إلى مكة والمدينة. كان الشيخ أبو الحسن علي الندوي حمله لدى أول زيارته لبيت الله الحرام.

فضائل حج (فضائل الحج)

هذا الكتاب جزء من أجزاء "فضائل أعمال" الذي صنفه المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا، محدث مظاهر علوم، بسهارنفور. جمع فيه الشيخ كافة الأحاديث التي تتعلق عن فضائل الحج وبركاته كما جمع فيه أحداث ووقائع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم التي تشير إلى هذه الفضيلة. هذه الأشياء كلها تزيد القارئ محبة وعشقا للحج ومناسكه. هذا الكتاب أيضا كان مع الشيخ أبي الحسن علي الندوي في أول رحلته إلى حج بيت الله الحرام.

رهنماى حج (دليل الحج)

هذا الكتاب الضخم يشكل ٣٧٢ صفحة. صنفه الشيخ خليل الرحمان النعماني. اختار فيه حلول القضايا عن الحج في ضوء ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى فالكتاب تم تأليفه على مذهب الحنفية إلا أن المؤلف حرّ في اختيار الأسهل والأيسر من الأحكام والأوامر كيلا يشكل على العامل ولا يهرب منه العابد العادي. من خصائص هذا الكتاب أن المؤلف ذكر فهرستا طويلاً للكلمات العربية والمصطلحات الدينية بمعانيها ومفاهيمها كي يراجع القارئ لدى الاستفادة ويسهل منه الاستفاضة. ينتهي الكتاب على خرائط الأماكن المقدسة بما فيها بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف. نشر الكتاب من مطبع جيلاني في كوتشه تشيلان بدريا غنج، دلهي الجديدة.

خواتين كا حج وعمره (كيف تحج النساء ويعتمرن)

هذا أيضا من مؤلفات الشيخ خليل الرحمن النعماني صاحب كتاب "الدليل الحج" بالأردية. أخلصه المؤلف للنساء ولقضاياهن عن الحج والعمرة. ولو أن كافة الكتب المتعلقة بالحج تناقش قضايا الرجال والنساء ولكن هذا الكتاب وحيد من نوعه على حد دراستي. يحتوي على ١٠٨ صفحة ويدلّ على قضايا النساء للحج فحسب. من أهم خصائصه ذكر الإرشادات والهدايات التي أعطاها المؤلف في صدر الكتاب وإن تعمل النساء بها فالمرجو من الله أنهن يحصلن على الفوائد الجمة والبركات الكثيرة من أجل هذه العبادة المخلصة. أصدره تاج كمبني بدلهي.

رفيق حج (صديق الحج):

هذا الكتاب القيم الذي قام بتأليفه الشيخ احتشام الحق الكاندهلوي يحتوي على ١٦٠ صفحة. ذكر فيه المؤلف كافة الأخطاء والزلات التي يعاني منها الحُجاج لدى ممارسة هذه العملية المباركة بما أنه أشار فيه إلى الأخطاء والزلات التي مربها الحجاج لدى زيارته الثلاث لهذه الأماكن المقدسة وقد رآها المؤلف بعيني رأسه. صاحب هذا الكتاب من أهم شخصيات الجماعة التبليغية في الهند. وأدى فريضة الحج مع الشيخ إلياس، مؤسس هذه الجماعة. أحال فيه المؤلف إلى الكتب الأمهات الموثوق بها على كافة البيانات والأقوال والآراء التي أدلى بها لدى الكلام على الأخطاء والزلات.

ومع هذا فقد فصل طريقة وآداب الحج وزيارة المسجد النبوي وقبر النبي صلى الله عليه وسلم وما إليها من الفرائض والواجبات التي لا بد من أدائها. وبالجملة إن الكتاب مفيد في هذا المجال. نشره إدارة إشاعت دينيات في حي حضرة نظام الدين بنيو دلهي.

كتاب الحج، مختصر طريقه حج وعمره (كتاب الحج، كتاب موجز عن طرق الحج والعمرة)

صاحب هذا الكتاب معروف بين الكتاب والعلماء الأفاضل في الهند وهو الشيخ عاشق إلهي البرني المظاهري. يحتوي على ١٨٧ صفحة. راجع فيه المؤلف، أهم الكتب والمصادر في هذا الشأن فصار الكتاب موثوقا به كما أصبح حافلا بالمعلومات عن الموضوع. ينتهي الكتاب بالأدعية الخاصة بكل دورة من الطواف. طبع من مكتبة فريد، ماتيا محل، أردو بازار، المسجد الجامع بدلهي. ترتيبه جيد وطباعته رائعة.

كتاب الحج

هذا الكتاب أيضا صدر عن نفس المكتبة إلا أن إسم المؤلف لا يوجد على لوح الكتاب. يحتوي الكتاب على ٢٤٠ صفحة في ترتيب جيد وطباعة رائعة تجذب أنظار الناس. من خصائص هذا الكتاب الفاخر أنه يحتوي على صور الأماكن المقدسة بجانب خير ذكر طريقة الحج والعمرة. فالكتاب جذاب والأسلوب أخاذ.

عمره كيسي كرين، رهنماى عمره وزيارة (كيف نعتمر، دليل العمرة والزيارة)

هذا الكتاب يحمل إسمين إلا أن المؤلف واحد وهو الشيخ خليل الرحمن النعماني، يفقد الإسم الكتاب الأول الذي صدر في صورة كتيب جيبي. لا يستطيع القارئ أن يستفيد منه بما أن حروفها قصيرة للغاية تصعب قراءتها. أما الكتاب الآخر الذي يحمل الإسم طبع في اتضاح وضخامة الصفحات. طباعته جيدة إلا أن الكتابة كما هي. نشرهما مكتبة فريد المذكورة آنفا.

طريقة حج (طريقة الحج)

قام بتأليفه القارئ شريف أحمد خطيب المسجد الجامع بمحطة القطار في دلهي. يشمل الكتاب ١٦٨ صفحة ويحوي القضايا عن الحج وطرق العمرة. طبعه تاج كمبني بدلهي.

حقيقت حج (حقيقة الحج)

صاحب هذا الكتاب معروف لدى الدوائر العلمية في الهند وخارجها وهو الشيخ وحيد الدين خان صاحب كتاب "الإسلام يتحدى" يشمل الكتاب ١١٤ صفحة. قسمه المؤلف في ثلاثة أبواب فالباب الأول يحتوي على الآيات والأحاديث وحج الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبة حجة الوداع والباب الثاني يدل على حقيقة الحج ورسالة الحج والحج باعتباره مغيرا مجرى التاريخ وأهمية الحج الدعوية والحج والاتحاد وغيرها من المباحث وأما الباب

الثالث فهو يحل عقدة القضايا المتعلقة بالحج. طبع الكتاب من مكتبة الرسالة في نظام الدين بدلهي في ترتيب جيد للغاية.

رهبر حرمين شريفين (دليل الحرمين الشريفين)

صاحب هذا الكتاب الشيخ محمد عاشق علي الحسامي الذي مضى ذكر أحد كتبه عن الحج. هذا الكتاب أهم وأفضل كتبه التي قام بتأليفها في هذا الباب. يشتمل الكتاب على ٢٣٨ صفحة. ذكرت فيه الأركان وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب سهل على عادته. فالكتاب مفيد للغاية. طبعه حسامية لباس غرء، المعير الجديد بحيدر أباد الدكن.

دعاي عرفة (دعاء عرفة)

هذا الكتيب المحتوي على ٤٠ صفحة أيضا من أعمال المؤلف المذكور أعلاه. ذكر فيه المؤلف دعاء عرفة والمزدلفة وزيارة المدينة بأسلوب يجذب إليه نظر القارئ ويخلق فيه عاطفة الحب والتضرع إلى الله جلّ مجده. يبتدئ الكتاب بذكر الأعمال والذكريات لأيام الحج الخمسة. صدر الكتاب من نفس المكتبة.

مسائل ومعلومات حج وعمره (القضايا ومعلومات الحج والعمرة)

صنفه الشيخ محمد معين الدين في ١٧٣ صفحة. يحتوي على القضايا الضرورية عن الحج والعمرة. يزيده أهمية الأسئلة الأربعة التي طرحها في لوح الكتاب وهي: (١) ما ذا تعمل به؟ (٢)

ما ذا نجتنبه؟ (٣) أين نصلي؟ (٤) كيف نصلي؟ من أهم وأكبر خصائص هذا الكتاب أن المؤلف حصل على توصيات علماء ديوبند وبريلي كليهما فهذا موثوق به لدى كلتا المدرستين للأفكار الشهيرة في الهند والباكستان. صدر الكتاب من كلاسيك آرتس، سوق آزاد (آزاد ماركيت) بدلهي.

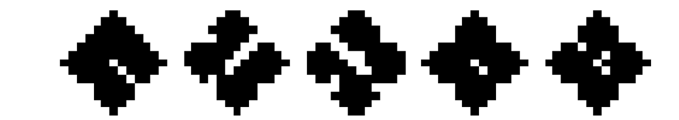
حج وعمره اور زيارت نبوي، آسان طريقه اور دعائين (الحج والعمرة وزيارة النبي مع الطريقة السهلة والأدعية)

هذا الكتاب قام بتأليفه الشيخ محمد سليم الدهلوي ويحتوي على القضايا المتعلقة بالحج إلا أن له خصوصية لا توجد لدى غيره من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وهي طباعته في الحروف الجلية وهذا لأن معظم حجاج القارة يكونون كبارا مسنين فلا تستطيع أعينهم أن تقرء الحروف الصغيرة. فهذا الكتاب مفيد لهم بجانب إفادته لعامة الحجاج لأنه يحمل كافة القضايا العادية عن الحج والعمرة وزيارة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم. طبعه العلاء ببليكشنز بنيو دلهي.

وبجانب هذه الكتب، هناك رحلات عديدة صدرت عن أقلام الهنود الذين سافروا إلى مكة المكرمة لأداء هذه الفريضة وهي أيضا تحتوي على معلومات جمة عن هذا الواجب المهم. من أهمها وأفضلها "بطواف كعبة رفتم" (جئت لأطوف حول الكعبة) للشيخ

إعجاز أحمد الأعظمي و"مين حاضر هون" (لبيك) للسيد وصي إقبال و"فيتي كهر سي بيت الله تك" (من بيتي إلى بيت الله) للسيد أبي الحسن علي الندوي و"حاجي كى نام" (إلى الحاج) للسيد خرم مراد.

ندعو الله عز وجل أن يوفقني والمسلمين جميعا أداء هذه الفريضة وهو ولي التوفيق.



كولكاتا (Kolkata): تاريخها وعلومها وأدبها

ـ د. محمد أحمد خان القاسمي*

تم تعمير كولكاتا في القرن السابع عشر المسيحي أعني عصر جهانغير (١٦٠٥ ـ ١٦٢٧م) وهو عروج سلطنة المغول وكولكاتا الحالية التي هي بقعة نور مملوءة بالعظمة والقدرة والوقار والجلال، كانت في زمان غابة مكثفة ومتوحشة تسمى "سوندرا فان" (Sundarvan) ولافتة أنظار الناس أجمعين إليها بسبب وجود الوحوش المفترسة والحيوانات الضارية والمناظر المخيفة. ولما تبدلت الغابة استعمرت قرى صغيرة بادى ذي بدء ثم هدمت وصارت مدينة كولكاتا، مدينة أكبر وأجلى من غيرها من مدن البلاد ومنذ ذلك الوقت تمثل هي درجة مدينة تاريخية أولى للهند المتحدة ولما نالت الهند الاستقلال في ١٩٤٧م لم تقل أهميتها وهي بقيت ذات أولية وأفضلية بين المدن الدولية لشبه القارة.

ولهذه المدينة خلفية تاريخية وهي أن بعض تجار لندن أعدوا مشروعا للتجارة من جزائر الهند الشرقية في ١٦٠٠م حين القيام

---

* طبيب كبير، مستشفى حكومة الهند، نيودلهي

مؤسسة الهند الشرقية حسب جدول أقرته إليزبيث ملكة انجلترا وفي عـام ١٦٠٨م زار القبطان هـو كينس (Hawkins) بـلاط السـلطان جهانغير كما أن زيارة السير تامس رو (Sir Thomas Roe) لبلاط جهان غير ليست بأقل منها معنى ولما تأسست مدراس (تشناي الحالية) في عام ١٦٤٠م أقام تجار انجلترا سوقا بها ثم زاد أثر وقوة الإنجليز في مدينة مومباي في ١٦٦٨م.

وبعد ١٦٤٠ م توجه الأفرنج الماكرون إلى بنغال وفي عام ١٦٥١م قام بتأسيس مصنع في مستعمرة هوغلي (Hugli) كما عمر حيا جديدا بجانبها. أجاز السلطان شجاع أن يتجر بها تجارة تبلغ ثلاثة آلاف روبية وفي ١٦٥٦م حصلوا على إجازة حمل ونقل سلعهم.

وطبقا لأمر من شائستة خان عاملة بنغال، صدر في ١٦٧٢م نال الإنجليز تخفيضا في ثمن الخدمة (Duty) ثم أصدر السلطان أورنغ زيب أمرا بألا يؤخذ منهم سوى ٢% من رسوم الجمرك و ٢/١ % من الجزية ولكن عمال الجمارك وأصحابها خانوا حكمه وأخذوا الأموال كيف شاءوا.

وفي عام ١٦٩٠م تم إتفاق بين قنصل مومباي وسلكته وتقررت مشاريع جديدة بناء عليه وفي أغسطس عام ١٦٩٠م ثم رجع جوب كارنوك (Job Charnock) إلى بنغال وعمر مصنع جديد في

رفاهية بقرية "سوتانتي" (Sutanti) على قرب من كولكاتا وفي عام ١٦٩١م أصدر إبراهيم خان حاكم بنغال حكما بأن يعطى تخفيض تام في الخدمة بدلا من ثلاثة آلاف روبية ثم أعطى عند سوبار سنغ الشاعي بردوان (Bardawan) الأفرنج فرصة لشرى باع بها ثلاث قرى: سوتانتي (Sutanuti) وكالي غاتا (Kalighata) وغوبندبور (Gobindapur) بمائتين وألف روبية في ١٦٩٦م ووضعت مصانع أجنبية لبنغال تحت مجلس على حدة يسمى "Fort William" (قلعة وليم) التي أقيمت تحت الأرض. كان أول ساكنيه تشارلز أير وكان العصر عصر السلطان أورنغ زيب عالمغير (١٦٥٨-١٧٠٧م) الذي قد سيطر على كافة بلاد الهند تقريبا كما كانت بنغال ولاية تحت حكم السلطنة المغولية. كانت عاصمته داكا (Dhaka). في عام ١٧٠٠م عين مسلم حديث العهد بالإسلام يسمى "مرشد قلي خان" حاكما لبنغال من قبل السلطان المغولي أورنغ زيب عالمغير. إنه نقل عاصمة الحكومة من داكا إلى مدينة سماها باسمه "مرشد آباد" التي تقع على الجانب الشمالي من كولكاتا في غربي بنغال. في عام ١٧٠٥م توفاه الله إلى جنابه وخلفه ولده وفي عام ١٧١٧م نال الإنجليز أمرا من سلطان دلهي لتوسيع نطاق تجارتهم وفي عام ١٧٤١م سلب علي وردي خان الحكم من ولد قلي خان وأصبح نوابا لبنغال في حين كان يعمرها الإنجليز الجدد والفرنسيون والدنيج.

إنهم سيطروا على كولكاتا وتشندرنغر وتشنتور. بنى الإنجليز قلعة بأمر من أورنغ زيب، سموها "قلعة وليم" لذلك كانت

المدينة قد توسعت حدودها. كان علي وردي خان شجاعا بعيد النظر حاويا للأمور والقضايا وكان يخالف السلطة السياسية للإنجليز فكان يقول "جئتم تجارا فلم تبنون القلعات؟"

وفي عام ١٧٥٦م توفي علي وردي خان فخلفه حفيده ميرزا محمد باسم سراج الدولة وخلد اسمه بهذا اللقب على صفحات التاريخ الهندي. كان سراج الدولة عاقلا شجاعا محبا للوطن خائفا من الله فكان يبغض الإنجليز وكان يفهم مكرهم وكيدهم جيدا. ولما ابتدأت الحرب في أوربا جعل الإنجليز والفرنسيون يبنون القلعات لصيانة المستعمرات فمنعهم سراج الدولة. أطاع له الفرنسيون ولكن الإنجليز خالفوه. فظن النواب بسوء نيتهم وأراد أن يطردهم من البلاد. وبما أن الأوضاع السياسية والاقتصادية كانت سيئة للغاية وكان الأغنياء الهندوس لا يحبون حكومته فبدأوا ينصرون الإنجليز خفية ولم يرع ما منع النواب عنه وقام حركة عدم التعاون بعون من الأفرنج.

وفي نهاية الأمر صادر النواب مصنع قاسم بازار (سوق قاسم) وشن الغارة على الإنجليز. هرب القبطان الإنجليزي من الميدان ورفق النواب الفتح ولما وصل هذا الخبر السيء إلى مدراس بعث حاكمها كلايو وواتسن مع خمس مائة وألف محب للوطن إلى بنغال لشن الغارة على النواب فتقدموا إلى نهر هوغلي ولكن حدث الصلح وحصلت المؤسسة الإنجليزية على حقوقها تحت اتفاقية.

وخلال هذه الفترة (١٧٥٧م) لم يخالف سراج الدولة الإنجليز بسبب حملة أحمد شاه أبدالي على دلهي وغارته عليها وتوسع نطاق ومكر وكيد اللورد كلايو ورغب فيه المسؤولين الكبار لحكومة النواب من أجل الانتقام منه ومنهم الماكر الكبير الخائن اللعين عدو الوطن مير جعفر بخشي الذي كان أخا لعلي وردي خان بالنسبة إليه. قدم كلايو إلى هذا اللعين الحكم وعشرة ملايين روبية وأراضي أربعة وعشرين برغنة (Pargana) ولما تم الأمر اصطحب كلايو معه عددا وافرا من الجنود وكان النواب حاضر ميدان بلاسي (Plassey) مع خمسين ألف جندي.

وفي ٢٣ من يونيو عام ١٧٥٧م حدثت الحرب فهزم جيش النواب وألقي القبض على سراج الدولة وقتل تقتيلا في السجن من قبل ميران بخشي ولد مير جعفر. كان راجه رام نارائن (Raja Ram Narayan) شاعرا بنغاليا من مرشد آباد في القرن الثامن عشر الميلادي وكان من معاصري سراج الدولة وقد كان من ذوي قرابة علي وردي خان من قبل فرتّن راجه هذا النواب المحب الوطن والقوم والأرض بهذا الشعر الأردي:

غزالان تم تو واقف هو، كهو مجنون كي مرني كي

دوانه مركيا آخر كو، ويرانـــي به كيا گزري

ترجمة: أيتها الظباء: أنتن تعرفن خيرا، أخبرن عن وفاة مجنون. قد توفي المجنون في النهاية فماذا حدث مع الصحراء.

عين الإنجليز مير جعفر نواب هذه المنطقة وكان غير جدير بهذا المنصب ولم يوف أي شريطة الإنجليز. والواقع أن التاريخ يعيد ذاته وجاء الوقت حينما حرم مير جعفر منصب النواب وفي عام ١٧٦٠م عين مير قاسم نواب بنغال وفي عام ١٧٦٥م مضى الخائن مير جعفر لسبيله وسيطر الإنجليز على كافة بنغال بعون من اللورد كلايو في عام ١٧٦٥م تم تعيين اللورد كلايو أول حاكم بريطاني لبنغال وفي عام ١٧٧٢م تولى وارن هستنغز (Warren Hastings) حاكم عام للهند (١٧٧٢-١٧٨٥م) وأصبحت كولكاتا أول عاصمة الإنجليز.

وفي عام ١٧٦٥م نهاية انحطاط السلطنة المغولية كانت المستودعات القائمة في مبنى قلعة وليم تصان وتحفظ ولذلك قد تم بناء ميناء كولكاته على شاطئ نهر هوغلي وعلى قرب من قلعة وليم وتوفرت تسهيلات حمل ونقل السلع التجارية والإياب والذهاب عن الطريق البحري عن جهة الحروب والقتالات والحي الذي تم تأسيسه في ضواحي قلعة وليم كان مشتملا على أربعة آلاف نسمة وكان يسكنه الإنجليز في قلة قليلة وعلى مر العصور تحولت قلعة وليم إلى قلعة تاريخية عزيزة كانت واقعة تحت الأرض وهي رمز ناهض لانحطاط السلطنة المغولية وعروج حكومة بريطانيا في وسط مدينة كولكاتا. رفرف فيها علم الشوكة والعظمة البريطانية كما تلألأت منارة العلوم والفنون باسم كلية قلعة وليم (Fort William

College) وهي المنارة التي بددت ظلمات الجهل وعدم المعرفة الموجودة في العالم كله وحتى الآن هي تعمل عملها منذ القرنين الماضيين (١٨٠٠-١٩٩٩م) وتنور أذهان وعقول الناس أجمعين.

وثارت ثورة تاريخية كبرى بعد ما نال الأفرنج سيطرة تامة على شبه القارة حتى نهاية القرن الثامن عشر المسيحي وتمت شهادة نواب بنغال سراج الدولة في ١٧٥٧م وهي أثرت أثرا واضحا حتى القرون السحيقة. وقد فتح الإنجليز بلادا كبيرة من قارة آسيا، تسمى "الهند" في ستار التجارة ثم اتخذوا خطوات عديدة ماكرة لجعل حكومتهم أوسع نطاقا ولحكم إدارة وحكموا عليها لنحو قرنين (حتى عام ١٩٤٧م) لاستراتيجيتهم الحكيمة وفكرتهم الغير عادية وبصيرتهم السياسية وعقلهم الحداد بكل أهبة وشوكة وجلال وفتح وفوز.

وقد غير ورود الانجليز في الهند وسيطرتهم عليها ومسكنهم فيها مجرى الأرياح الشرقية وسيطرت عليها الغربية وعمت الأسلوب الغربي والعملية الغربية في بلادها وبدلت التجارة والصناعة والحرفة ترقى بكل سرعة. ونابت العلوم والفنون الغربية مناب العلوم والفنون الشرقية وانفتح باب جديد للاقتصاد والمعيشة وابتدئ عصر حديث للسياسة والصحافة والحكم والإدارة واصطبغت الحضارة والاجتماع بصبغة أخرى مختلفة من قبلها وجاءت أفكار وطرق جديدة في الدراسة والثقافة والحكمة والفلسفة

والعلوم والفنون والموسيقى والرسوم والشعر والآداب. وكانت كولكاته مركزاً وحيداً لكافة هذه التفصيلات والفعاليات السياسية والثقافية والحضارية والأدبية. وفاز في رعاية حكومة بريطانيا ينبوع المعيشة ضمت فروعه كافة جوانب وأقاليم ومناطق الهند ونهلت منها.

ولما تولى البريطانيون حكومة بنغال كانت تقوم في كافة جوانب الهند مدارس وكتاتيب يعلم فيها اللغات العربية والفارسية والهندوستانية بجانب تعلم اللغات المحلية مثل السنسكريتية والبنغلا والهندية. وفي بادئ ذي بدء اجتنب المسلمون دراسة اللغة الانجليزية وعلوم وفنون التاريخ والجغرافيا والسياسة والاجتماع والفلسفة والعلوم والهندسة والإعداد ظانين أنها كفر وشرك. ولكن الهندوس الذين كانوا بعيدي النظر والفكر اعتبروا اللغة الإنجليزية والعلوم فيها ضماناً للمستقبل الزاهر وتعلموها بكل نشاط ورغبة. ومن واقع التاريخ أن سكان وأهالي الهند كانوا مختلفين للغاية عن جهة العلوم والمعارف على المستوى الدولي.

وقد أكد أول عام حكام الهند اللورد وارن هاستينغز على إحياء العلوم والفنون الحديثة على المستوى المحلي ومن أجل حركة مسلمي بنغال قام الحاكم العام بوضع حجر أساس المدرسة العالية بكولكاته في شهر أكتوبر عام ١٧٨٠م وفي البداية أدى اللورد وارن هاستينغز تكاليف هذه المدرسة من نفقته الخاصة ولم تزل هذه

المدرسة مركز تعليم العلوم والفنون الشرقية والغربية، القديمة والحديثة. على المستوى الدولي الحضاري وفي ١٩٠٢م تم قيام معهد علمي أدبي ثقافي مهم باسم "مسلم إنستيتوت" (Muslim Institute) (المعهد الإسلامي) في ميدان المدرسة العالية بكولكاتا وهذا المعهد يبقى الآن كمنارة للنور العلمي والثقافي والأدبي وقد استفاد الكثير من مكتبة هذا المعهد الكبير.

وفي ١٥ من يناير عام ١٧٨٤م قام السير وليم جونز (Sir. William Jones) بتأسيس جمعية بنغال الملكي الآسيوية (Royal Asiatic Society of Bengal) وعين الدكتور غيل كرائست (Gil Christ) أمينا لهذه الجمعية في عام ١٨٠٠م وكان من أعضائها بارسنا كومار ثاكر (Prasanna Kumar Thakur) ودوار كاناتا تاكور (Dwarkanath Thakur) الدكتور رام كمل سين (Dr. Ram Kamal Sen) ورادا كانت ديب بهادر (Rada Kant Deeb Bahadur) وهم من مشاهير وكبار مفكري بنغال وقد ضمت إليها مكاتب السلاطين المغول والسلطان تيبو بعد انحطاط السلطنة المغولية وشهادة السلطان تيبو. وكان قسم السنسكريتية لهذه الجمعية يحتوي على ستة آلاف نسخة من المخطوطات والنوادر العربية والفارسية والتركية والبشتو والهندية والبنغلا والأردوية بجانب المخطوطات الأخرى التي يبلغ عددها ثلاثين ألف مخطوط أو أكثر. وبعد ما انقسمت بنغال في ١٩٤٧م سميت جمعية بنغال الملكي الآسيوية بالجمعية الآسيوية

لغربي بنغال إلا أنه لم يفقد أهميتها الدولية ودرجتها العالمية كمكتبة كبرى للبحوث والتحقيقات العلمية.

وفـي عـام ١٧٩٢م قـام عـالم ومعلم بنغالـي جـي نارايـان غوشـال (Jai Narayan Ghoshal)(ت ١٨٢١م) مدرسة في وارنسي يتم فيها تدريس اللغـات السنسـكريتية والعربية والفارسـية والبنغاليـة والأردويـة والإنجليزية. تخرج في هذه المدرسـة عدد وفير مـن البراهمة الكبار وفي نفس الوقت أشعل السير ونت تشارلس غرانت (Sir Vant Charls Grant) سراجا للعلم والمعرفة.

وقد تأسست مدارس أخرى لدراسة اللغة الإنجليزية البدائية، طورها مركز سيرام بور(Serampoor) ومبشرات أخرى لدراسة اللغة الإنجليزية البدائية، وفي عام ١٨٠٧م قامت كلية الهندوس (Hindu College) وفي السنة نفسها أقيم مطبع لها سمي بـــ "Hindu College Press" (مطبع كلية الهندوس) أقامه جورج سيل (George Cell) .

وكذلك أسس عالم كبير نتانيل والتش(Nelthonel Woech) متحفا فـي عـام ١٨١٤م يعـرف الآن بـــ "جـادو كهـر" (Jadu Ghar) (بيت السحر)

وفي ٢٨ من شهر يناير عام ١٨٣٥م وضـع الحاكم العام وليم بينتنك (William Bentinck) حجر أساس كلية طبية أولى وكان من أول المتخرجين فيها الدكتور مدهو سادان غوبتا(Madhu Sadan Gupta)

والدكتور ماهيندر لال ساركار (Dr. Mahindra Lal Sarkar) وفي السنة (عام ١٨٣٥م) قررت حكومة بريطانيا اللغة الأردية لغة حكومية بدلا من اللغة الفارسية التي كانت تحتل هذا المكان في العصر المغولي.

وفي عام ١٨٣٦م وضعت "المكتبة الوطنية" (National Library) في كولكاتا دار وكالة بنغال وفي ٣٠ من شهر يناير بدل اللورد كرزن (Lord Curzon) اسمه بالمكتبة الملكية (Emperial Library) وعندما انقسمت الهند سُمّيت هي بمكتبة كولكاتا الوطنية (Kolkata National Library) وهو الآن باق يجري كما هو وعين العلامة رضا علي وحشت بعد ما أكمل دراسة على منصب "المولوي الكبير" في قسم العلوم الفارسية المخطوطة لكولكاتا في ١٩١٠م وبقي على هذا المنصب حتى عام ١٩٢٧م. وهو كان عالما كبيرا من منطقة بنغال وشاعرا وعارفا بالمخطوطات. إنه أدى مسؤولية تحرير وتصحيح الأوراق والمخطوطات الملكية القديمة وحينما تأسست الكلية الإسلامية في عام ١٩٢٧م في كولكاتا بيدي أسد بنغال ورئيس الوزراء أبو القاسم فضل الحق تحتل العلامة وحشت منصب رئيس وبروفيسور قسم اللغتين: الأردوية والفارسية.

وفي عام ١٨٤٩م وضع حجر أساس مدرسة متهون (Mithun) التي نالت فضل الكلية في عام ١٨٧٩م.

وفي عام ١٨٥٤ م برزت مدرسة ربن للفنون إلى حيز الوجود. احتل فيها الفرنسي ريغاند (Regond) منصب بروفيسور أول وفي نفس العام تأسست كلية ربن (Ripon) وفي عام ١٨٥٧م بنيت منارة جامعة كولكاتا وفي نفس العام قامت مدرسة بلاتندرز (Billoondrs)، كولكاتا التي كانت تهتم بدراسة الصناعات الأهلية بجانب العناية بالأغنية والموسيقى.

وفي عام ١٨٦٠م وضع حجر أساس كلية سينت زيويرس (St. Xeiers) وفي عام ١٨٧١م بنى كشب تشندرسين (Kushp Chander Sen) معهد وكتورية من أجل تطوير تعليم النساء.

وفي عام ١٨٧٦م قام رتشرد تمبل (Richard Temple) بتكشين المنظمة الهندية لإثمار العلوم (Indian Association for the Cultivation of Science) وفي عام ١٨٧٩م تم إيجاد مدرسة المدينة (City School) ثم في ١٨٨١م تطورت وأصبحت كلية. وفي ١٨٨٠م وضع حجر أساس كلية بنغال للهندسة (Bengal Engineering College) ومدرسة الصدارة (Presidency School) ومدرسة دف وزم (D &Ds) التي تأسست في عام ١٨٨٢م قد بناها شانتي بانارجي (Shanti Banerjee) كما أعطى سرت تشندر روي تشودري (Sarat Chandr Roy Chudhry) هدية مائة ألف لهذه المدرسة.

والمعاهد العلمية والتعليمية والثقافية المذكورة أعلاها قد تم تأسيسها في كولكاتا فحسب.

وفي عام ١٧٩٣م جاء بيب تست(Baptist) يسمى وليم كيري (William Carey) إلى كولكاتا. إنه ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة البنغالية بعون من أصحابه من بنغال وهذه أول ترجمة تامة صدرت في أي لغة هندية. طبعها المترجم على نفقته وفي ١٨١٠م قام تاريني تشرن متر (Tarini Charan Mitra) أولا بإعداد وترتيب "كليات مير تقي مير" (مجموع أشعار الشاعر الشهير مير تقي مير) وصدرت أول طبعته من مطبع كلية قلعة وليم، كولكاتا في عام ١٨٠١م. وهي مصونة في مكتبة انديا أفس بلندن بجانب حفظها في مكاتب كولكاتا القديمة. (راجع كتاب "خطبات هارسمان دتاسي"، ص ٦٨).

ومنذ بدء حكومة اللورد وارن هستينغز الحاكم الإنجليزي الأول للهند تم تأسيس مدارس وكليات ومعاهد تعليمية عديدة في غير موضع من بنغال لاسيما كولكاتا، يتعلم فيها الإنجليز اللغتين الأردوية والفارسية والهنود اللغة الإنجليزية. رجع اللورد وارن هستينغز إلى إنجلترا في ١٨٧٥م والحاكم العام الذي تبعه في الهند شعر بألا بد من الاتصال بالهنود وإفهامهم للاستفادة من أوضاع الهند وحضارتها ومعيشتها وتقاليدها وفهم أفكار ونظريات عامتها وخاصتها وكيف يشعرون هم كافة وكانت اللغة الأردوية أو الهندية -لديهم- أجمل وسيلة وأحسن طريقة إلى هذا الهدف المراد فتم تأسيس كلية قلعة وليم بكولكاتا في ٤ من شهر مايو عام ١٨٠٠م

والتي عني فيها بالتدريس الأمثل اللغة الفارسية والأردوية للعمال البريطانيين. وكان الهدف وراء هذا توفير التسهيلات الكثيرة في أمور الحكم والإدارة لكافة طبقات الناس، عامتهم وخاصتهم، شريفهم ووضيعهم، غنيهم وفقيرهم. وقد أثبت الدهر أنهم فازوا تماما في هذا الهدف السني الذي أقاموه ونصبوه أمام أعينهم.

لم يحدد نطاق خدمات كلية قلعة وليم في هذا القدر بل اتسع وشرعت الكلية مشروعا منظما لتطوير اللغة الأردوية. فقد تعين عديد من العلماء الأفاضل والشعراء المفلقين والأدباء البارعين من كافة أرجاء البلاد على مناصب الكتابة والتأليف والترجمة وأثبت هؤلاء استعدادا باهرا ومشقة فائقة ونشاطا عديم النظير ودراسة مستمرة وعملا دائما ليلا ونهارا. وقاموا بتأليف وترجمة كتب قيمة رائعة فائدة النظير تعتبر مصدرا أساسيا وذخيرة ثمينة للأدب الأردوي ولو مضى عليها القرنان وقد ثبتت هذه المؤلفات والترجمات أول علم لتطوير وإذاعة اللغة الأردوية وأدبها.

وقد شملت هذه الجماعة التي وضعها كلية قلعة وليم كافة طبقات الهند وأصحاب الأفكار والديانات العديدة من المسلمين والهندوس وحتى الأوربيين الذين حكموا عليها ولم يفد جمع وتأليف وترجمة هذه الكتب والرسائل اللغة الأردوية وأدبها فحسب بل فهم الإنجليز بيئة الهند ومجتمعها ومعيشتها حق الفهم وتركت اللغة الأردوية الأسلوب القديم لغذة الأسلوب الجديد المتقدم وأصبحت

سلسلة وسهلة وحدث حادث واضح في رقي وتطور الأدب الأردوي وسعته وإذاعته فالنثر الجديد هو الذي بدأت به كلية قلعة وليم.

كان الدكتور غل كرايست (Gil Christ) مدير/ بروفيسور هذه الكلية وهو من أصله كان مسؤولا طبيا. إنه جد واجتهد ليلا ونهارا لتطور اللغة الأردوية وأدبها كما استخدم العلماء والمفكرين. وهذا عجيب أنما حصلت عليه كلية قلعة وليم، كولكاتا من تقدم وتطور في ظل هذا الدكتور المجاهد ونالت من ذخائر مختلف اللغات الهندية وغير الهندية، لم يوجد نظيره من قبل ولا من بعد. وقد أوقف غل كرايست (Gil Christ) كافة أوقاته وفرصه لهذه الكلية ولا يمكن أن يحدث مثل هذا العمل الخالد إلا بجهد ووعي وإخلاص غير عادي. وفوق ذلك أن هذا الدكتور لما ارتحل من انكلترا إلى بلادنا لم يكن يعرف أي لغة هندية فارسية كانت أو أردوية أو هندية ولكنه تعلم لغات هندية عديدة في وقت قليل للغاية ومن أهمها وأجدرها بالذكر اللغات الفارسية والأردوية والهندية التي برع فيها إلى حد صنف بها كتبا منهجية للكليات بجانب إعداد الكتب والرسائل بإشرافه. فله كتب مهمة تعتبر مصدرا أول لهذه اللغة ، اللغة الأردوية.

ومما كتبه الدكتور غل من الكتب القيمة هي "اردو كي جامع لغت" (المعجم الجامع الشامل للغة الأردوية) و"هندوستاني علم اللسان" (فقه اللغة الهندي) و"هندي كي لسان مشقين" (تمرينات الهندية السهلة) و"فارسي زبان كا جديد نظرية" (وجهة

نظر حديثة في اللغة الفارسية) و"مشرقي زبان دان" (عارف باللغة شرقي) و"بياض هندي" (بياض الهندية) و"اجنبيون كي رهنماي هندي" (دليل الهندية لغير الناطقين بها) و"اردو صرف ونحو" (قواعد اللغة الأردوية) وغيرها. ومن يرد مزيد البيان عن كافة كتبه فليراجع المجلد التاسع لكتاب "Linguistic Survey of India" (تحليل لغوي للهند) لصاحبه الدكتور غيريسين (Dr. G.A. Grierson).

ثم في عام ١٨٢٩م صنف غارسان دتاسي (Garson Datasi) كتابا أسماه "اردو زبان كي قواعد" (قواعد اللغة الأردية) وتم طبعه من فرنسا وهذا يدل على محبة دتاسي للأردوية والرغبة فيها وكتابه: "خطبات غارسان دتاسي" وغيره من "هندوستاني أدب" (الأدب الهندي) و"هندوستان ميں اردو" (الأردوية في الهند) و"هندوستان كي اردو شعراء" (شعراء الأردوية في الهند).

وخلال الفترة من علم ١٨١٨م – ١٨٨٤م صدرت كتب عن قواعد اللغة الأردوية والمعجم الهندي – الإنجليزي ومعجم الإنجليزية عن أقلام الكتاب الأوربيين من أمثال وليم جونز (William Jons) وجون شيكسبير وبيلت وكذلك كتاب ايس دبليو فولين الذي صدر في كولكاتا في ١٨٥٨م.

وقبل كلية فورت وليم بكولكاتا في علم ١٨٠٠م تم تأليف كتب عن قواعد اللغة الهندوستانية وأمثالها ومفرداتها، أسدت في تعلم

اللغة الأردوية. وجون جوشوا تيلر (John Josho Teller) الذي كان سفير هولندا لدى الهند في عصري شاه عالم وجهاندار شاه صنف كتابا عن قواعد اللغة وفي عام ١٧١٦م ألف داويد ميل (David Mill) كتابا عن قواعد اللغة، يشمل صرف الأفعال الهندوستانية للكاتب الآنف الذكر وعشرة أحكام للتوراة وأوامر ومناجاة الرب (Lords Prayer) وفي عام ١٧٤٤م صنف الأسقف شيلز (Shells) كتابا عن قواعد اللغة في اللغة اللاطينية سماه (Grammatica Hindostanica) ذكر فيه الكلمات الهندية في الخط الفارسي والإنجليزي وفي نفس السنة ألف كتابا سماه "هندوستاني ألفاظ وحروف تهجي" (الكلمات الهندوستانية وحروفها للهجاء) وكذلك ذكر جي أي فرتز (J.A. Fritz) مقارنة مفصلة بين الحروف الهجائية للغة الهندوستانية في أشكالها الخاصة. كتب هدلي (Hadley) في عام ١٧٧٢م كتابا عن هذا الموضوع تسمى "Grammatica Hindustanica".

وفي مدة قليلة للغاية وبفضل حركات هذه الكلية العلمية والتعليمية والأدبية ضجت الهند بالمدارس والكليات في كافة أرجائها فقد تأسست جامعات على منوال جامعة لندن في مدراس وبومباي وكولكاتا وابتدأت سلسلة الدراسات العليا والعالمية بجانب الموضوعات المحلية ولقد اتخذ الهنود وخاصة أهالي بنغال هذا النوع من الدراسة ولذلك فقد اعترف بمستواهم العلمي والتعليمي على نحو عالمي. هكذا جعل الهنود يرغبون في العلم والفن

ويتكونون الشعر والأدب فقد أوجدت عشرون مطبعا في كولكاتا فقط حتى عام ١٨٥٩م وازداد عدد مثل هذه المطابع في غيرها من مدن الهند.

ابتدئ تنصيب المطابع في كولكاتا حين جعلت الكتب تصنف وتؤلف وتترجم في كلية فامة وليم فقد أقام الدكتور غل كرايست مطبعا في ميدان الكلية كان يطبع فيه انجازات مجرد كتاب ومترجمي الكلية وهكذا أسس مطبع في مركز سيرام بور وأقيمت جمعية كتب المدرسة (School Book Society) في سنة (Sanan) في كولكاتا. باعت هذه الجمعية واحدا وثلاثين ألف كتاب إلا أن كتب السنسكريتية والهندية والبنغالية لم يتم بيعها أكثر مما حدث مع كتب الإنجليزية والأردوية.

وفي عام ١٨٢٧م أقيم مطبع حجري في دلهي وكذا برز إلى حيز الوجود مطبع عصر غازي الدين حيدر، نشر عنه كتاب "حفت قلزم" ثم صدر معجم الفارسية "كتب اللغات" و"بنج سورة" وغيرهما من الكتب. وفي نفس الفترة ترجم محمد الحسيني كتاباً في الإنجليزية باسم "سائنس كي فوائد وأعمال" (فوائد العلوم وأعماله) بأمر من "جمعية الكتب المدرسية التي نشرت هذا الكتاب ولما أقام محب الأردوية المنشي، نولكشور (Munshi Naval Kishore) مطبعا في لكناؤ في وسط القرن التاسع عشر المسيحي كان آنذاك اثنا عشر مطبعا يعمل عمله في هذه المدينة إلا أن ما أنفقه نولكشور من أموال

وما نشره من كتب الأردية والفارسية ظلت تؤثر في الهند حتى نهاية القرن العشرين ولم ينهض أي ناشر في شبه القارة ليضاهي به. نحيه بهذه الخدمة الجليلة وندعو ناشري قارة الهند والباكستان الذين يحبون المال حبا جما أن يعتبروا بهذا الرجل الكبير العظيم.

وبجانب طبع ونشر الكتب والكتيبات بهذه المطابع فقد صدرت جرائد ومجلات يومية وأسبوعية ونصف شهرية وشهرية وفصلية ونصف سنوية وسنوية يرجع فضلها إلى مدينة كولكوتا التي يرى تاريخها في باب "الصحافة الأردوية في بنغال" لكتاب "الأردوية في بنغال" لوفار الراشدي(راجع صفحات ٢٦٧-٢٧٠).

وكذا صرح كاتب هذا الكتاب القيم بتأليف وتحرير وطبع ونشر الكتب العربية والفارسية والهندية المهمة عن العلوم والأدب والأديان في صدر عصر الأردوية ولا نحتاج إلى تفصيلها ومن يرد مزيد البيان فليقرأ صفحات ٢٨٦-٢٩٢ لباب "المصنفات الأردوية في بنغال" للكتاب المذكور أعلاه ونذكر على سبيل المثال بعض الكتب الأدبية والدينية.

ذكر محمود الرب خالد في مجلة "الفنر برلاني" الشهرية أن "سهيلي" مؤلف شهير نصير الدين حيدر وله ثوطئة قيمة بالفارسية طبعت في "مويد برهان" الذي ازداد بها جمالا وقدرا (راجع ص ٨٥-٩٠ من كتاب الأردوية في بنغال").

مثنوي "بكاولي" للسيد ريحان الدين وهو يعد عملاً عبقريا للأردوية وتصوير الدين حيدر والسيد ريحان الدين من مواليد بنغال.

والتفسير الفارسي الذي اشتهر في القرن الثالث عشر الهجري هو تفسير فتح العزيز المعروف بـ "تفسير عزيزي" للشاه عبد العزيز (ت ١٢٣٨هـ) خلف الشاه ولي الله الدهلوي ولكنه لم يكمل ويبلغ سورة البقرة والجزء الثلاثين وقبله بكثير ترجم وفسر المخدوم نوح سروري هالاي السندي (Makhdum Nuh Sarwari Halai Sindhi) القرآن الكريم في القرن العاشر الهجري وهذا يعتبر أول ترجمة وتفسير كامل للقرآن في شبه القارة الهندية والباكستانية. قام العلامة غلام مصطفى القاسمي السندي بتقديم وتحشية وتصحيح هذا الكتاب القيم ونشره في عام ١٩٨١م من المؤسسة السندية الأدبية بحيدر آباد، السند (راجع "أول ترجمة فارسية كاملة للقرآن في شبه القارة لصاحبها الدكتور وفار الراشدي، مجلة "معارف" الشهرية بأعظم كره "مايو عام ١٩٩١م ومجلة "المعارف" الشهرية بلاهور اغسطس – سبتمبر عام ١٩٩٢م).

ترجم مولانا محمد إسماعيل الشهير الباب الأول للكتاب "رد لا شريك" باسم "التقوية الإيمان" وفي عام ١٨٣٠م قام الشيخ عبد الله بترجمة " تنبيه العارفين" لمولانا السيد أحمد الشهيد البريلوي إلى الأردية ونشره من مطبع هوغلي والمترجم كان من أهالي كولكاتا.

وصرفا عن المصادر والمراجع التي جاء ذكرها لدى تحرير هذا المقال نذكر بعض المصادر الأخرى التي استفاد منها الكاتب وهي :

١- داستان وفا (قصة المحبة) لوفا الراشدي

٢- بنغالي، بنگله اور اردو (البنغاليون واللغة البنغالية واللغة الأردية) لوفا الراشدي

3- Calcutta by Geoffry Moor House

4- Calcutta, A living city by Sri Kant Chowdhry

5- An Advanced History of India by R.C. Mujumdar

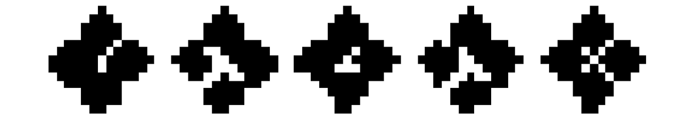
6- The Ancient History of India & South Asia by Richard Burton

7- A History of India by Ishwari Parshad

8- The Introduction of English Education by T.B. Macaula

9- History of Fort William College Printed and published by Fort William College Press calcutta.

10-A short Histroy of Calcutta Madrassah by Mukhlisur-Rahman (Calcutta Madrasah Magazine 1933).



قصة قصيرة

كابولي والا

(Kabuliwala)

- رابندرا نات طاغور*

ترجمة : سعيد الرحمن**

(١)

ابنتي الصغيرة ميني (Mini) في الربيع الخامس من عمرها لا تنقطع عن الكلام لحظة. عرفت النطق وأتقنت الكلام إتقانا تاما بعد عام واحد فقط منذ ولادتها. ولا تتوقف عن ثرثرتها إلا قبل نومها. معظم الأحيان تنتهرها أمها وتسكتها عن ثرثرتها وأسئلتها التي لا تنتهي. ولكن يثقل علي سكوتها وهدوءها ولا أستطيع الصبر على هذا السكوت طويلا لذلك أتحدث معها بشيء من الرغبة والشوق.

صباح اليوم أخذت في كتابة الفصل السابع عشر من روايتي. فجاءت ميني وبدأت تتحدث معي فقالت: "يا أبتي، سمعت

* - أديب هندي شهير
** - مركز الدراسات العربية ، جامعة جواهرلال نهرو ، نيو دلهي

رام دايال (Ram Dayal) ينادي البواب بكوا". إنه غبي لا يعرف شيئا. هل أنت توافقني على قولي؟".

قبل أن أخبرها شيئا عن تنوع اللغات في هذه الدنيا وأساليبها المختلفة غيرت مجرى الحديث إلى موضوع آخر فقالت: "هل سمعت يا أبتي؟ كان يقول لي بهولا (Bhola) إن الفيالا في السماء تمسك في خراطيمها مياها كثيرة ثم تلقيها إلى الأرض فهكذا ينزل المطر. فيا للعجب فكم يأت بهولا بالأكاذيب؟ إنه يثرثر ويهذي ليل نهار. أليس كذلك؟"

فلم تنتظر لإجابتي عن سؤالها ولم تمهلني في إبداء رأي في قول بهولا حتى طرحت إليّ سؤالا آخر.

"ماهي العلاقة بينك وبين أمي يا أبتي؟"

فأجبت عن سؤالها في داخل نفسي بأنها شاليكا" لي. ولم أستطع أن أبوح بهذه الكلمة. فأمرتها أن تذهب على الآن وتلعب مع بهولا لأني مشغول في كتابة فصل من فصول روايتي. ولم تخرج من غرفتي بل جلست تحت طاولتي عند قدميّ وبدأت تلعب وتتحدث إلى نفسها بينما بطل روايتي "برتاب سنها" (Pratap Sinha) كان يفر بحبيبته "كانشان مالا" (Kanchan Mala) من السجن وقد ألقيا أنفسهما في النهر خوفا من اللحاق بهما.

كان بيتي مطلا على الشارع. بعد هنيهات وقفت ميني من مجلسها فجأة وهرولت إلى النافذة وبدأت تنادي في صوت عال جدا: كابولي ...... يا كابولي.

فاتجهت نحو النافذة، فإذا برجل طويل عظيم الجثة كث اللحية في عباءة فضفاضة قذرة وعلى رأسه عمامة خضراء وعلى كتفه حقيبة وفي يده عناقيد العنب. لا أعرف ما الذي أثار فضول طفلتي؟ وماذا أحست به في نفسها فجعلت تناديه بهذا الإلحاح؟

قلت في نفسي: إن هذا الرجل الغريب يسبب لي مشاكل ولا يمكن لي الآن أن أكمل الفصل السابع عشر من روايتي. فاتجه الرجل مبتسما إلى بيتنا إستجابة لنداء ميني فلما رأته يقترب من الباب هربت إلى داخل البيت واختفت حيث لم يوجد لها أثر. كانت تخاف من هيئة هذا الرجل خوفا شديدا وتظن به ظنونا حتى ظننته خطافا. كانت تظن أن في حقيبة الكابولي أطفال عديدون مثلها يختطفهم من أحياء كولكاتا. ووصل إليّ الأجنبي وسلم عليّ مبتسما.

فقلت في نفسي: مع أن بطل روايتي في مصيبة، لابد من إنقاذه منها ولكن في نفس الوقت لا يناسب أن أرد هذا الضيف الثقيل بدون أن أشتري منه شيئا.

جلس عندي الرجل ودار الحديث بيننا. أخبرني عن عبد الرحمن وعن الإنكليز وعن حدود بلاد أفغانستان. فلما انتهى من الحديث وهم بالمشي سألني مبتسما: أين اختفت طفلتك يا سيدي؟

فأردت أن أزيل الخوف من قلب إبنتي الطاهر البريء فناديت عليها: ميني .... يا ميني؟ فهرولت إليّ من داخل البيت

وقامت ملتصقة بي وبدأت تنظر إلى وجه الكابولي مرة وإلى حقيبته أخرى نظرة شك وارتياب وخوف ولا تكاد تستقر عيناها المتطلعتان. فأخرج الكابولي من حقيبته شيئا قليلا من الزبيب وقدمه إليها ولكنها رفضته بشدة وإباء واستمرت تحرك رأسها بالنفي والإنكار وازدادت ارتباكا وخوفا والتصقت برجلي كأنها تبحث عن ملجأ لا خوف فيه. هكذا كان لقاؤنا الأول.

بعد أيام مضت كنت أخرج من البيت فإذا بطفلتي اللعوب الثرثارة جالسة على مقعد متصل بالباب تتحدث إلى الكابولي وهو جالس تحت قدميها يصغي إلى حديثها فاغرا فاه كأنه يلتهم كلامها التهاما وأحيانا يجيب عن أسئلتها المثيرة للعجاب ويظهر رأيه فيما تُسأل عنه في لغة بنغالية متكسرة.

مِني في الخامسة من عمرها. ففي هذا العمر الصغير لم تجد قط سامعا صبورا مطيعا مثل الكابولي لأحاديثها الطفلية البريئة اللذيذة. ورأيت في طرف قميصها زبيبا ولوزا أعطاها الكابولي إياها.

فسألت الكابولي في لهجة فيها شيء من التأنيب والقسوة: "لماذا أعطيتها الزبيب واللوز؟ لا تُعطها شيئا بعد اليوم فتفسد خلقها". ثم أعطيته عملة ثمنها نصف روبية. فأخذها الرجل بدون أي امتعاض أو تردد ودسها في حقيبته.

فلما رجعت إلى البيت وجدت أم ميني تؤنبها في قسوة بالغة وتسألها في إلحاح: أين وجدت هذه العملة؟ قولي لي الآن... أين وجدت هذه العملة؟ فأجابت ميني: أعطانيها الكابولي.

فصرخت أمها: لماذا أخذتها من الكابولي؟

فأجهشت بالبكاء وقالت في صوت إحتجاجي: لم أطلبها منه. إنه أعطانيها من عند نفسه. فتدخلت في هذه الخصومة بين الأم والبنت وأنقذت ميني من المصيبة.

أخبرت بعد ذلك أنه لم يكن هذا اللقاء لقاء ثانيا بين ميني والكابولي، بل هو يزور بيتنا كل يوم صباحا أو مساء أو ظهرا متى شاء ويتحدث إلى ميني وميني تتحدث إليه ويرشوها الكابولي زبيبا ولوزا ويسرق قلبها الطاهر شيئا فشيئا. واحتل فيه مكانا خاصا له.

وكان مما يدور بين الصديقين نكتة لا بد من إعادتها كل يوم. كلما رأت ميني رحمت ميان" سألته في ضحكة طفلية شيقة : كابولي ... يا كابولي، ماذا تخفي في حقيبتك؟

وكان الكابولي يجيبها في إبتسام واسع وبالهاء الممدودة: هاتي". فيغرقان في ضحك مجلجل ويقهقهان طويلا. وهذه الدعابة تعجبني كثيرا وتبعث في نفسي سرورا. وكذلك كان الكابولي يعيد لها كلمة واحدة:

"أنت لن تذهبي إلى بيت زوجك يا ميني"

ولكن ميني لم تكن تعرف معنى هذه الكلمة. ما معنى الزوج؟ وماذا عسى أن يكون بيت الزوج؟ أي طائر هذا!! وكان من المستحيل أن تسكت وأن لا ترد على سؤال طرح إليها فتوجه إليه نفس السؤال: "هل أنت ذاهب إلى بيت زوجك يا كابولي"؟

فيجعل رحمت قبضة شديدة من أصابع كفه كأنه يستعد للملاكمة ويتخذ صورة مهيبة ويقول في صوت أجش: أضرب "سامسورا!"* ضربا شديدا. فتضحك ميني ضحكة مجلجلة متخيلة مصير شئ مجهول غامض يسميه الكابولي بسامسورا.

(٢)

هذا خريف أبيض. في قديم الزمان كان الملوك يخرجون للغزوات في هذا الموسم أما أنا فلم أخرج من مدينة كولكاتا (Kolkata) قط. لذلك تجول نفسي في بلاد العالم كله أجدني مقيدا مكبولا في زاوية بيتي ولعله السبب الذي يجعل نفسي تشتاق دائما إلى سياحة بلاد العالم. كلما ذكرت لي بلاد ومفاتنها ومناظرها الطبيعية تاقت إليها نفسي ووجدتني في الخيال أقطع الصحاري القاحلة والفلوات وأعبر الأنهار والبحيرات وأتجاوز الجبال والأودية وأصل إلى تلك البلاد النائية الجميلة الساحرة. وربما عنّ لي كوخ في وسط غابة هادئة وأنا أحن إلى ذلك الكوخ لأعيش فيه حياة سعيدة هادئة وادعة.

وفي نفس الوقت أنا منطو على نفسي وملازم لبيتي. كلما هممت بالخروج من زاوية بيتي دار رأسي دورانا. لذلك صباح كل يوم كنت أقضي سويعات مع الكابولي وهو يخبرني عن بلاده وأهلها وعاداتها وتقاليدها وأرضها وسمائها وأنهارها وجبالها. وكنت أغرق في الخيال وأرى جبلين أحمرين شامخين وبينهما طريق ضيق وعر شديد الوعورة يسير عليه قطيع من الإبل المثقلة بالسلع التجارية وأرى التجار المعممين ذوي اللحى الكثة الطويلة يركبون الإبل وبعضهم يمشون على الأقدام آخذين بأيديهم رماحا وبنادق وعصيا ويحطون ركابهم في منزل ما ويصلون ثم يواصلون السير.

كان الكابولي يتحدث إلي بصوت يعلو مرة كالرعد وينخفض أخرى كالنجوى. وهذه المناظر تمر بخيالي في لحظة.

أم ميني امرأة متشككة جدا تشك في كل شيء وتخاف من أدنى شيء. كلما سمعت صيحة أو ضجة في الطريق ظنت كأن جميع المجانين يهرولون إلى بيتنا. إنها لم تعرف بعد أن هذه الدنيا مليئة بالمجانين والسارقين وقطاع الطرق والحيات والأسد والملاريا والطاعون والحشرات المرئية والعفاريت وشياطين الجن والإنس.

كانت تخاف من ذلك الكابولي التاجر. وقالت لي مرارا أن أراقب حركاته ونشاطاته وكنت أضحك من خوفها وضعف نفسها وأحاول تهدئة روعها بالضحك والمداعبة وأحيانا بالمزاح والسخرية ولكنها كانت تثور علي بشدة وتثور من الغيظ والحنق

ثم تقول لي في صوت ملؤه جدية وخطورة: "ألا يُخطف أولاد الناس هنا وهناك؟"

أليس الرقيق يباع ويشترى في كابول؟ أهذا من المستحيل لكابولي فج أن يخطف طفلاً ويبيعه في أفغانستان؟

فاستسلمت لرأيها ووافقت على قولها واعترفت أن هذا من الممكن حدوثه ولكن لا تعتقد نفسي بهذا ولا تؤمن أن يحدث مثل هذا في حقنا. إيمان النفس يختلف باختلاف طبائع الناس. لذلك بقيت زوجتي تخاف من الكابولي وتحذر وتطالب مني أن أمنعه من زيارة بيتنا. ولكن كيف أمنعه من ذلك بدون سبب ؟ وظل الكابولي يزور بيتنا كل يوم.

كان يعود رحمت ميان في أواخر يناير وبداية فبراير إلى بلاده كل سنة. وقبل رحيله إلى أفغانستان يزور كل بيت بقي فيه رسوم أو ثمن الفواكه التي باعها ويدخل في كل زقاق من أزقة كولكاتا ويتعب نفسه ليل نهار ولكن لا ينسى زيارة ميني. فإن لم يأت في الصباح أتى في المساء أو الظهيرة وتحدث معها وجرى بينهما ما جرى من الدعابة والفكاهة والضحك والقهقهة. وكان يخيل لي لعبهما كأنهما في مؤامرة خطيرة". إذا خلوت إلى نفسي في غرفتي الصغيرة في ظلام الليل وتخيلت ذلك الرجل العظيم الجثة في عباءة فضفاضة يعلق على كتفه حقيبة، لشعرت أكثر يخفق قلبي

هلعا ولمس بقشعريرة في أعصابي ولكن إذا أرى عزيزتي وفلذة كبدي ميني تنادي ذلك الغريب في صوتها العذب الرقيق: كابولي ... يا كابولي.... والكابولي يتوجه إليها في لهفة كالأب الشفوق الحنون وعيناه تبرقان من شدة الفرح ويبتسم ملأ الثغر وميني تجلس بجنبه كروح لطيفة ويصغو كل منهما إلى حديث الآخر كالصديقين الحميمين يمتلئ قلبي سعادة وفرحا وحبورا. فيا للصداقة! إنها صداقة عجيبة حقا أحدهما لم يتجاوز السادس من عمره والآخر فوق الخمسين.

(٣)

صباح يوم بارد شديد القرس كنت جالسا في غرفتي الصغيرة أصحح أوراق طباعية وكانت أضواء الشمس المنعشة تقع على قدمي من خلال النافذة وكانت تلك الحرارة – حرارة الأضواء – مريحة جدا والناس يرجعون من نزهة صباحية مرتدين ملابس شتوية وصوفية وشالات فإذا بالشارع صيحة مرتفعة.

فوقفت على باب البيت فإذا بشرطيان يجران رحمت ميان جرا ويداه مشدودتان بالحبل والأطفال يسعون وراءه مبتهجين ومتضاحكين كأنهم في عيد. رأيت عباءة رحمت ميان مضرجة بالدم وكذلك في يد أحد الشرطيين خنجر ملطخ بالدم فأوقفت الشرطيين أمام بيتي وسألتهما عن الحكاية.

كانت الحكاية كما سمعت بعضها من الشرطيين وبعضها من رحمت ميان أن أحد الجيران إشترى منه رداءً رامفوريا وأنكر عليه دفع الثمن وادعى أنه لم يشتر منه شيئا. فبدأ يتخاصمان فلم يستطع الكابولي أن يتحمل كذب البنغالي فطعنه بالخنجر وجرحه جرحاً شديداً وبإضافة إلى ذلك إنهال عليه شتما وسبابا ولعنة عدد الرمل والحصى فقبض عليه الشرطة.

ولما سمعت ميني صوت الكابولي بدأت تناديه من داخل البيت وتهرول إليه قائلة كابولي... يا كابولي حتى وصلت إليه. فتهللت أسارير وجهه وابتسم ابتسامة واسعة. لم تكن معه اليوم حقيبة لذلك لم يكن السؤال المعتاد: "ما الذي تخفي في حقيبتك يا كابولي؟". فأعادت ميني سؤالا آخر قديما: "هل أنت ذاهب إلى بيت زوجك يا كابولي؟".

فأجاب الكابولي ضاحكا: نعم يا عزيزتي، اليوم أنا ذاهب إلى بيت ماسورا".

هذا الجواب الجديد لم يضحك ميني فاستدرك قائلا: "لو كانت يدي مطلقتين لضربت ماسورا ضربا موجعا".

إثر هذه الحكاية حكم على رحمت ميان بالسجن لعدة سنوات عقوبة محاولة القتل.

نسينا الكابولي تماما. وكانت الحياة تجري في مجراها. كل فرد من أفراد الأسرة مشتغل بشؤونه الخاصة. ذهبت أيام وجاءت

أيام ولم يدر بخلد أحد منا قط كيف كان رجلا حرا يعيش في غياهب السجن، بعيداً عن الأهل والوطن؟ لم يفكر أحد كيف كانت أيامه الثقيلة تنقضي وكيف كانت لياليه الطويلة تنقطع؟

أما ميني فيا للسخرية ويا للعار نسيت صديقها الحميم كأنه لم تكن هناك أية علاقة بينها وبين الكابولي. نسيته تماما وعمرت لها دنيا الألاعيب والدمى وكلما تقدمت في السن إزدادت أترابها. لا تأتي اليوم إلى غرفتي ولا تعبث بأوراقي ولا تملأ البيت صرخة وصيحة ولا تزعج أحدا بأسئلتها اللامتناهية. أجلس أمام الطاولة لكتابة قصة أو فصل من فصول الرواية فلا تعترضني مرة واحدة. فكم أشتاق إلى حركاتها المزعجة وأسئلتها الطفلية؟ كأننا اليوم في عداء. وكأن بيني وبينها خصومة. أصبحت ميني اليوم تمثالا حيا للوقار والرزانة والحياء.

مضت أعوام وجاء موسم الخريف وتم أمر زواج ميني وسيتم عقد الزواج خلال أيام الإجازة. إنها ستترك داري وتذهب إلى بيت زوجها. تصبح داري مظلمة موحشة وتمتلئ دار أقربائها الجدد نوراً وسعادة.

فقد أسفر الصبح بجماله الباهر وترسل الشمس أشعتها الذهبية على أفنان الشجر المغسولة بالمطر الغزير فتجعلها تتلألأ خضرة وحيوية وكذلك تضفي الشمس جمالها وسحرها وفتنها على البيوت الكثيفة المتآكلة في هذه المنطقة العشوائية.

منذ الفجر اليوم تدوي الموسيقى في أرجاء البيت وتدق الطبول وترقص الفتيات والأطفال. على وجوههم بشر وابتسامة والناس كلهم في هرج ومرج وضجيج وعجيج. ودقات الطبول تخترق شغاف قلبي وتهزه هزا ولما الموسيقى فكأنها تخرج من بين أضلاعي كالأنات الحزينة وتكاد عيناي تنهمر بشلال من الدموع ويكاد القلب يخرج عن مكانه من شدة الخفقان. آه كيف أتحمل فراق ميني فلذة كبدي؟ آه يذوب قلبي هما وحزنا.

كنت في غرفتي أفحص تكاليف الزواج. فإذا برجل غريب وقف أمام طاولتي وسلم عليّ مبتسما. فلم أعرفه في أول وهلة ولكن الابتسامة ذكرتني وجه رحمت ميان. هو رحمت ميان حقا ماثل أمام طاولتي في أدب وتواضع ولم تكن معه حقيبته ولم يكن شعره طويلا وما كان ذلك النشاط ولا تلك الحيوية والقوة فقد جعله السجن منهوكا مهزولا مفتر الأعضاء فلم يبق إلا نعشا حيا يمشي على الأرض.

فسألته: متى جئت يا رحمت؟ وكيف مزاجك؟

فأجاب: أطلق سراحي أمس يا سيدي.

فارتبكت قليلا من هذا القول. لم أر قاتلا بعيني رأسي قط ولكن أحسست بشيء من الكراهية والضيق والحرج عندما قال رحمت ميان: أطلق سراحي أمس يا سيدي. وقلت في نفسي: لماذا جاء هذا الرجل في مثل هذا اليوم المبارك؟ وضقت به ذرعا.

وقلت له: نحن اليوم في أمر مهم جدا وأنا نفسي مشغول جدا. إذهب اليوم وائتنا يوما آخر.

فقام من مجلسه فور ما سمع أمري ووصل إلى الباب ويكاد يخطو خطوة ويغيب عن نظري فجأة أدار رأسه إليّ وقال في صوت جمع فيه همته كلها:

ألا تسمح لي أن أرى عزيزتك مرة واحدة يا سيدي؟

لعله كان يعتقد أن ميني لم تكبر ولعله كان يرجو أن تهرول إليه قائلة:

كابولي ... يا كابولي! أين كنت هذه الايام الطوال؟ لماذا لم تزرني يوما طوال هذه الفترة الطويلة؟ لعله كان يتمنى أن يدور بينهما ما كان يدور قبل أعوام. أسئلة طفلية... وحكايات .. وأساطير ثم ضحكات مجلجلة وشيئ من المزاح البرئ.

لم ينس الكابولي الصداقة القديمة. خرج من السجن واشترى عناقيد من العنب وشيئا من الزبيب واللوز وجاء بهذا كله ليقدمه إلى ميني كهدية. قلت له: اليوم لا يمكن اللقاء مع أحد. نحن كلنا مشغولون.

.فظهر على وجهه أثر الحنق والغضب والوجوم وظل قائما برهة يحملق في وجهي ثم قال لي: "بابو سلام" وانصرف عني.

فلما غاب عن نظري أحسست بوخز شديد في أعماق قلبي وتأسفت لذلك وهممت أن أناديه فإذا هو يتقهقر ويقترب مني، فوضع

كل ما كان يحمله في يده من عناقيد العنب والزبيب واللوز وقال: جئت بهذه الفواكه لعزيزتك ميني فاعطها إياها.

قلت له: لماذا تكلفت لهذه الفواكه يا رحمت؟ وقدمت إليه بعض النقود قبل أن ينصرف عني فأخذ يدي بقبضة يديه بقوة وقال لي في عواطف جياشة حادة وفي صوت متهدج: لن أنسى أياديك الكثيرة عليّ طول الحياة يا سيدي، فلا تخذلني بهذه الفلوس. ما جئت إلى دارك طامعا في مالك. كلا ياسيدي، كما أنت أب لطفلة لعوب وجميلة كذلك أنا أب لطفلة عزيزة فاتنة مثل ميني تماما. إنما كنت أزورها بهذه الفواكه لكي أرى في وجهها الصبوح وجه طفلتي البريء. وبالله أقول لم يكن لي هدف سوى اللقاء". ثم أدخل يده في عباءته الفضفاضة وأخرج من موضع الصدر ورقة صغيرة مغبرة بالية جدا وبدأ يفتح طياتها بعناية ورفق. فهل تدري ماذا عسى أن يكون في الورقة؟.

فيا للحيرة ويا للعجب! رأيت بعيني رأسي على الورقة المغبرة القديمة صورة كف لطفلة لم تتجاوز السادس من عمرها. ومن المدهش جدا إنها لم تكن صورة فوتوغرافية ولا صورة زيتية. إنما أغمست يد الطفلة في العجين المبلل ثم وضعت على الورقة فجاءت هذه الصورة الناقصة. كان رحمت يأتي بمثل هذه الورقة المطبوعة عليها صورة كف طفلته كل سنة ويجول في كافة أزقة مدينة كولكاتا، يبيع الفواكه ويضع هذه الورقة على صدره ويحس

بحرارة ذلك الكف الصغير وكأنه يجد طفلته ملتصقة بصدره أو مطوقة عنقه بساعديها الصغيرتين.

فلما رأيت صورة تلك الكف الصغير على الورقة المغبرة البالية فاضت عيناي بدموع حارة وبللت وجنتي حتى وصلت إلى أسفل ذقني كالخيوط المتصلة. وقد نسيت جميع الفروق بيني وبينه ونسيت تماما أني من سلالة البراهما العظماء وهو بائع فواكه من الطبقة الدنيا من أفغانستان لا يعرف له حسب ولا نسب. واعترفت في قرارة نفسي بأني لست شيئا سوى أب عطوف عاجز لبنت كما هو أب لبنت. هو مثلي تماما. تلك الصورة ذكرتني طفولة ميني بأيامها المرحة وبحركاتها المزعجة وبأسئلتها الطفلية اللامتناهية. فأرسلت إليها توا لتلاقيني في غرفتي الصغيرة. فهبت عاصفة هوجاء من القيل والقال في داخل البيت ولا سيما في حلقة النساء وظن بي الأقارب ظنونا ولكني لم أبال بشيء. فوصلت ميني إلى غرفتي مرتدية "ساري" (Sari)* جميلا كتمثال للوقار والرزانة ووقفت إلى جنبي منحنية رأسها فلما رآها الكابولي في هذه الهيئة وقع في ارتباك شديد ونسي كيف يخاطبها وبأي كلمة يبدأ الكلام. فاختلجت بين شفتيه كلمات غير مفهومة وغير مسموعة ثم تنحنح قليلا وقال مبتسما: "ستذهبين إلى بيت زوجك يا عزيزتي".

تعرف ميني اليوم معنى كلمة الزوج وبيت الزوج فاستحيت واحمرت وجنتاها خجلا وأدارت رأسها إلى جانب. فتذكرتُ اللقاء

الأول بينه وبينها ومرت أيام طفولتها أمام عيني في لحظة كأوراق الملف وأحسست بألم شديد في داخلي.

وانصرفت عنا ميني وظل الكابولي مشدوها حائرا كالأبله لا يدري ماذا يفعل ثم تهالك على أرضية الغرفة وتنفس الصعداء ووضع رأسه بين كفيه وبدأ يفكر. إنه فهم الآن أن ميني لم تعد طفلة لعوبا ثرثارة بل أصبحت شابة عاقلة متفتحة وأصبحت قادرة على إدارة شؤون البيت. فتذكر طفلته التي خلفها في أفغانستان قبل أعوام. فلا بد من أن تكبر مثل ميني تماما ولا بد من عقد زواجها ولا بد من العودة إلى الوطن واللقاء مع الأهل والأقارب. فأعطيت رحمت مبلغا نقودا ورقية وقلت له: ارجع إلى وطنك يا رحمت. ابنتك لم ترك منذ طويل وتنتظرك الأسرة والأقارب ليل نهار. فليكن لقاءك مع أهلك وأسرتك سبب الخير والبركة والسعادة لحياة ميني العزيزة.

فرجع الكابولي إلى وطنه وتم زواج ميني بأبهة وضوضاء.

الحواشي:

كابولي والا: تاجر متجول أفغاني في قديم الزمان

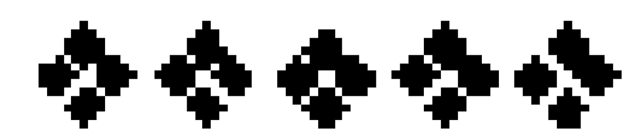
1 - كلمة كمرا تعني الغرفة في اللغة الأردية. فتذكرت الطفلة الذكية بأنها كلمة دخيلة في اللغة البنغالية فظهرت رغبتها حسب ذلك.

2 - "شالكا" كلمة خاصة تستعمل لأخت الزوجة.

3 - اسم الكابولي التاجر.

4 - تعني كلمة هاتي "الفيل" في اللغة البنغالية.

٥ - والد الزوج.
٦ - بيت الزوج أراد هنا السجن.
٧ - إلى اللقاء يا سيدي.
٨ – لباس نسائي هندي وطوله خمسة أمتار على الأقل



THAQAFAT-UL-HIND : Statement of ownership and other particulars.

FORM IV

(*See Rule 8*)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	Rakesh Kumar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	Rakesh Kumar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Asstt. Editor's Name	:	Rizwanur Rahman
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, Rakesh Kumar, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Rakesh Kumar
Signature of Publisher